

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله صَلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه .

وبعد :

فإن اختصار العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر لتفسير الحافظ ابن كثير والذي أسماه « عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير » - يعتبر من أجود المختصرات ، وهذا يتضح من خلال المنهج الذي ذكره في مقدمته للمختصر ، والذي ينفرد عن غيره في نقاط ، أهمها :

١ - أنه تم ضبط النص وتحقيقه على مخطوطتين ، إحداهما كاملة ، مما أعان على ضبط النص ، كما هو واضح من خلال الهوامش في الكتاب .

٢ - أنه أبقى على جميع الأحاديث الصحيحة ، باعتبار أن كل حديث فيه إضافة تُضم إلى غيرها مما يزيد المعنى وضوحا - وهو ما فعله أيضا في الإبقاء على جميع آيات الاستشهاد .

٣ - أنه يذكر مصدر الحديث ولا يكتفى بالراوي ، وذلك لبيان ما وقع من وهم ، كأن يذكر الحافظ أن الحديث في البخاري ومسلم مع أنه - عند البحث والتحري - نجده في أحدهما فقط .

٤ - أنه قام بضبط الأخطاء الواردة سواء في الأعلام أو الأحداث وغيرها ، وساعدت المخطوطات على ذلك .

٥ - أنه كان من الدقة وتوفيق الله له أنه لم يُبق في المختصر إلا ما صح من أحاديث عن النبي ﷺ . ولا غرابة ، فتلك صنته ، وميدانه الذي قلَّ أن يُسبق فيه ، مما يجعلنا أن نقول بحق : إنه صحيح مختصر تفسیر القرآن العظيم لابن كثير . قلت : وليس صحيحا تلك النسخة التي يتداولها الناس ويطلق عليها بأنها صحيح المختصر ، إذ بها من الأحاديث الشديدة الضعف والمنكرة الكثير ، بعضها أشرنا إليه في المآخذ على مختصر الصابوني .

ولذا كان هذا المختصر من أجود المختصرات ، مقارنا بمختصر ابن كثير لفضيلة الشيخ محمد علي الصابوني على شهرته - وكذا المختصرات التي جاءت بعده تقريبا - يتبين ذلك من خلال النماذج التالية من مختصر الصابوني - وتشترك بقية المختصرات في كثير منها :

١ - فعند تفسير الآية (٢١٣) من سورة البقرة قال الحافظ : « وفي صحيح البخاري ومسلم عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل يصلي يقول : « اللهم رب جبريل ... » وهو سهو من الحافظ . والصواب نسبه للبخاري فقط ، كما في المخطوط .

٢ - وعند تفسير الآية (١٩١) من سورة آل عمران ، حديث عمران بن حصين ، حيث ذكر الحافظ أنه في الصحيحين . والصواب نسبه للبخاري فقط ، كما في المخطوط .

٣ - وعند تفسير الآية (٢٢٩) من سورة البقرة ، قال الحافظ ابن كثير . « وقد ذكر ابن جرير

رحمه الله أن هذه الآية نزلت في شأن ثابت بن قيس بن شماس وامراته حبيبة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول . مع أن الصواب كما في الروايات : « حبيبة بنت سهل الأنصاري » و « جميلة بنت عبد الله ابن أبي ابن سلول » .

٤ - وعند تفسير الآية (٢٣٧) من سورة البقرة ، روى الحافظ ابن كثير عن سهل بن سعد رآني أسيد أنهما قالا : « تزوج رسول الله ﷺ أميمة بنت شرحبيل ، فلما أدخلت عليه بسط يده إليها ، فكأنها كرهت ذلك ، فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين أزرقين » . حيث وقع التحريف في موضعين في الحديث ، فأمية هي : « أميمة بنت شرحبيل » ، وقوله : « أزرقين » صوابه : « رازقين » كما هو موضح في موضعه من هذا المختصر .

٥ - وعند الآية (٢٧٥) من سورة البقرة ، قال الحافظ : « ... وكما قال النبي ﷺ يوم فتح مكة : « وكل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين ، وأول ربا أضع ربا العباس » مع أن الصواب : أنه هذا كان في حجة الوداع ، كما هو موضح في موضعه من هذا المختصر .

٦ - وعند الآية (٣٤) من سورة غافر ، قال الحافظ : « وقوله : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ : يعني أهل مصر ... وكان رسولا يدعو إلى الله أمته بالقسط ... » حيث جاءت كلمة « بالقسط » محرفة ، وصوابها : « القبط » كما في المخطوط .

٧ - ومن حيث التزام صحة الأحاديث في المختصر ، فإن هذا الشرط قد انتقض في مواضع كثيرة ، حيث نجد فيه - وفي غيره - الأحاديث الضعيفة بل وشديدة الضعف والمنكرة ، من ذلك :

أ - عند الآية (٢٧٩) من سورة البقرة حديث : سهل بن حنيف أن رسول الله ﷺ قال : « من أعان مجاهدا في سبيل الله أو غازيا ... » . وقد تعقبه الذهبي في التلخيص بقوله : « فيه عمرو بن ثابت وهو رافضي متروك » .

ب - عند الآية (١٨) من سورة آل عمران حديث : عن الزبير بن العوام قال : « سمعت رسول الله ﷺ وهو بعرفة يقرأ هذه الآية : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ ... ﴾ ... » . وهو في مسند الإمام أحمد ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٢٥ / ٦) : « في إسناده مجاهيل » .

ج - عند الآية (١٠٣) من سورة آل عمران حديث : عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إن هذا القرآن هو جبل الله المتين ... » . وقد قال عنه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١٠١ / ١) : « هذا حديث لا يصح عن رسول ﷺ ، ويشبه أن يكون من كلام ابن مسعود » .

ولما كان ذلك كذلك ، فقد اشتدت الرغبة لدينا في الحصول على هذا المختصر كاملا للشيخ أحمد شاكِر - والمعروف أن الشيخ وافته المنية ولم نر له من المختصر إلا الأجزاء الخمسة الصغيرة والتي تولت نشرها مكتبة التراث الإسلامي آنذاك ، وهي تبدأ من سورة الفاتحة حتى الآية رقم (٨) من سورة الأنفال - وعليه فقد سعينا في دار الرِّفَاء في الاتصال بالشيخ شاكِر للحصول على بقية المختصر لإتمام هذا العمل المبارك ، وكان من توفيق الله عز وجل لهذا العمل أن يستكمل أن حصلنا على النسخة التي قام فضيلة الشيخ أحمد شاكِر باختصارها بخط يده ، وذلك حتى آخر سورة الناس ، والتي ختمها بقوله :

« أتممت اختصار هذا التفسير الجليل في المسودة ليكون (عمدة التفسير) بين العشاءين يوم الأحد ١٢ محرم سنة ١٣٧٦ هـ - ١٩ / ٨ / ١٩٥٦ م » .

كما كان من فضل الله لإتمام هذا المختصر أن عثرنا على المخطوطة الأزهرية التي حقق بها فضيلة الشيخ أحمد شاکر النص . ولذا سعينا جادين - بعد أن توافر لدينا المختصر كاملا - بخط الشيخ شاکر وكذا المخطوطة لضبط النص - في إخراجه ليكون المختصر - ولأول مرة - كاملا بين يدي القراء الكرام . وكان عملنا ينحصر فيما يلي :

- ١ - مقابلة النص المختصر على المخطوطة .
 - ٢ - إتمام صياغة النص المختصر على المنهج نفسه الذي ذكره فضيلة الشيخ أحمد شاکر في مقدمته، وذلك من الآية رقم (٩) من سورة الأنفال إلى آخر سورة الناس .
 - ٣ - تخريج الأحاديث بالهامش ، وبيان درجة الحديث فيما هو في غير البخاري ومسلم .
 - ٤ - إتمام فهرس المسانيد وكذا فهرس الموضوعات - لكل جزء - على منهج الشيخ رحمه الله .
- والله نسأل أن يتقبل منا هذا العمل ، وأن يغفر لنا ما كان من خطأ أو تقصير يغلب على طبيعة البشر ، كما أدعوه أن يرحم ويرضى عن أستاذنا وشيخنا أحمد شاکر ، وأن يجمعنا وإياه وكل من أعان في مستقر رحمته ، والحمد لله رب العالمين .

أنور الباز

المنصورة : ١٦ من جمادى الآخرة سنة ١٤٢٣ هـ .

٢٥ من أغسطس سنة ٢٠٠٢ م .

obeikandi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده ، حمداً وشكراً ، نسأل ربنا عز وجل أن يتقبلهما بفضلته وكرمه ، وأن يجعلهما خالصين لوجهه الكريم ، ونرجو أن نستوجب بهما المزيد من فضله ونعمائه ، إنه الجواد الكريم ، البر الرحيم ، لا نحصى ثناء عليه ، هو - سبحانه - كما أثنى على نفسه ، إنه العلى الأعلى ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد النبي الأمي ، سيد المرسلين وإمام المهتدين وخاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليماً كثيراً .
وبعد :

فإن تفسير الحافظ (ابن كثير) أحسن التفاسير التي رأينا وأجودها وأدقها ، بعد تفسير إمام المفسرين أبي جعفر الطبري . ولنا نوازن بينهما وبين أي تفسير آخر مما بأيدينا ، فما رأينا مثلهما ولا ما يقاربهما .

وقد حرص الحافظ ابن كثير على أن يفسر القرآن بالقرآن أولاً ، ما وجد إلى ذلك سبيلاً ، ثم بالسنة الصحيحة التي هي بيان لكتاب الله ، ثم يذكر كثيراً من أقوال السلف في تفسير الآية . وإنه ليدكر الأحاديث - في أكثر المواضع - بأسانيداً من دواوين السنة ومصادرها . وكثيراً ما يذكر تحليل الضعيف منها ، ولكنه يحرص أشد الحرص على أن يذكر الأحاديث الصحاح ، وإن ذكر معها الضعاف . فكتابه - بجانب أنه تفسير للقرآن - معلم ومرشد لطالب الحديث ، يعرف به كيف ينقد الأسانيد والمتون ، وكيف يميز الصحيح من غيره . فهو كتاب - في هذا المعنى - تعليمي عظيم ، ونفعة جليل كثير .

وكان اتصالنا به منذ أكثر من خمس وأربعين سنة ، في طبعته الأولى ببولاق ، التي طبع فيها بهامش تفسير آخر من سنة ١٣٠٠ - ١٣٠٢ هـ . وهي طبعة محرفة لا يكاد ينتفع بها نفعاً صحيحاً . ثم طبعه أستاذنا السيد محمد رشيد رضا رحمه الله - ومعه تفسير البغوي - في مطبعة المنار في تسعة مجلدات ، من سنة ١٣٤٣ - ١٣٤٧ هـ ، بأمر جلالة الملك إمام أهل السنة ومحبي مذهب السلف ، وباعث النهضة الإسلامية والعربية الإمام (عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود) رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته . واجتهد أستاذنا رحمه الله في تصحيحه ما استطاع ، ولكن فاته من ذلك الشيء الكثير .

ثم تداولت المطابع في مصر طبعه طبعات تجارية ، ليس فيها تصحيح ولا تحقيق ولا مراجعة . إنما اعتمدوا طبعة المنار ، فأخذوها بما فيها من أغلاط ، ثم زادوها ما استطاعوا من غلط أو تحريف . فكان انتفاع الناس بهذا التفسير العظيم انتفاعاً قاصراً ، لما امتلأت به طبعاته من غلط وتحريف ، يجب معها أن يعاد طبعه طبعة علمية محققة ، يرجع فيها إلى النسخ المخطوطة منه ما أمكن ، ثم الرجوع إلى مصادر السنة التي ينقل عنها المؤلف الإمام الحافظ ، وإلى مراجع رجال الحديث والتراجم ، لتصحيح أسماء الرجال في الأسانيد - وهم شيء كثير ، وعدد ضخم .

هذه ناحية ، وناحية أخرى : أن القارئ المتوسط ، الذي يريد أن يصل إلى المقصد الأول من

التفسير ، وهو فهم الآيات الكريمة على معناها الصحيح ، الذى يؤيده الكتاب والسنة الصحيحة - يجد أمامه بحراً خضماً لا يكاد يدرك ساحله ، من الأسانيد والآثار والأقوال ودقائق العلم فى تخريج الأحاديث ونقد الرجال ، مما يجب معه أن نعهد الطريق لهذا القارئ المتوسط ، ونيسر له السبيل . فنضع بين يديه مقاصد هذا التفسير العظيم قريبة صافية ، يفهم منها القرآن الكريم فهماً صحيحاً ، لا يخوض معه عباب الأبحاث الفنية الدقيقة فى تخريج الأحاديث ونقد الرجال ، ولا يطغى عليه اختلاف ألفاظ المفسرين من الصحابة والتابعين فمن بعدهم ، وهى فى الأكثر الأغلب ترجع إلى معنى واحد فى تفسير الآيات .

وقد بدا لى أن أقوم بالعملين : نشر هذا التفسير فى طبعة علمية محققة متقنة ، وإخراج مختصر منه للقارئ المتوسط يحفظ عليه مقاصده - إن شاء الله ذلك ويسره ووفقنى له . ثم رأيت أن أبدأ بالذى هو أيسر وأقرب للناس - وهو التفسير المختصر - وإن كان العمل فيه أكثر مشقة ، وأصعب دقة . بعد طول تردد ، وعمق تفكير ، واستشارة كثير من الإخوان العارفين بالخلصاء الأمناء على العلم والدين ، جزاهم الله عنى وعن العلم أحسن الجزاء ، ووفقنى وإياهم للعمل الصالح ، والعلم النافع . واعتمدت «مخطوطة الأزهر» أصلاً لتصحيح نصوص الكتاب ، وهى أقرب إلى الصحة من كل طبعاته ، والخطأ من الناسخ فيها قليل ، يمكن تداركه بسهولة . وسأيت وصفها فى فصل خاص ، إن شاء الله .

وسميت هذا المختصر : (عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير) وأرجو أن يكون المسمى جديراً باسمه ، إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة .

منهج الاختصار :

١ - حافظت كل المحافظة على الميزة الأولى لتفسير ابن كثير ، الميزة التى انفرد بها عن جميع التفاسير التى رأيناها ، وهى تفسير القرآن بالقرآن ، وجمع الآيات التى تدل على المعنى المراد من الآية المفسرة أو تؤيده وتقويه ، فلم أحذف شيئاً مما قاله المؤلف الإمام الحافظ فى ذلك .

٢ - حافظت على آراء الحافظ المؤلف وترجيحاته فى تفسير الآيات ، مجتهداً فى إبقاء كلامه بحروفه ما استطعت .

٣ - اخترت من الأحاديث التى يذكرها أصحابها وأقواها إسناداً ، وأوضحها لفظاً . فإن المؤلف رحمه الله كثيراً ما يذكر الحديث الواحد بروايات متعددة ، ومن أوجه مختلفة .

٤ - حذف أسانيد الأحاديث التى أذكرها . فإن الحافظ ابن كثير يذكر الأحاديث بأسانيد مفصلة من دواوين السنة . فيقول مثلاً : « قال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا ... » - ثم يسوق الإسناد والحديث ، ثم كثيراً ما يذكر بعده تخريجه من الصحاح والسنن وغيرها ، بأسانيد كاملة ، أو بالإشارة إلى الأسانيد .

٥ - فاكثفت من ذلك بذكر الحديث عن الصحابى راويه ، أو التابعى إذا كان الصحابى غير مسمى . ثم أذكر بعد ذلك من رواه من الأئمة ، معتمداً فى ذلك على ما ذكره المؤلف رحمه الله ، وهو حجة فى ذلك . فلم أرجع إلى المصادر التى يذكرها إلا عند الضرورة القصوى ، لتحقيق لفظ الحديث ، أو لغير ذلك من المقاصد العلمية الدقيقة ، التى تتعلق بالرواية أو الدراية . ولم أزد على

تخريجه إلا ما لم يكن منه بد .

٦- حذفت كل حديث ضعيف أو معلول ، إلا أن يكون إثباته فى موضعه ضرورة علمية : لرفع شبهة ، أو بيان معنى حديث صحيح بحديث ليس ضعيفاً بمرة ، أو رد على احتجاج به لذى هوى أو ضغن على الإسلام وأهله ، أو غير ذلك من المقاصد العالية .

٧ - حذفت المكرر من أقوال الصحابة فى التفسير ، وكثيراً من آراء التابعين ، اكتفاء ببعضها . خصوصاً وأنها كثيراً ما تختلف لفظاً وتتفق أو تتقارب معنى ، كما قال المؤلف الحافظ رحمه الله (ص ٤٥ س ١١) : « والكل بمعنى واحد فى أكثر الأماكن » .

٨ - نفيت عن كتابى هذا كل الأخبار الإسرائيلية وما أشبهها، فإن المؤلف رحمه الله قد جذبها^(١) فى مواضع كثيرة من تفسيره ، وأبان عن خطئها وضررها ، وأنحى باللائمة على روايتها ورواتها ، ورسم لنفسه خطة فى شأنها . ومع ذلك فإنه - فيما يبدو لى - لم يستطع أن يسير على ما رسم ، وغلبه ما وجد من الروايات فى كثير من المواطن ، فأثبت طائفة منها غير قليلة . فحذفتها كلها ، والحمد لله .

٩- حذفت أكثر ما أطل به المؤلف رحمه الله من الأبحاث الكلامية والفروع الفقهية ، والمناقشات اللغوية واللفظية ، مما لا يتصل بتفسير الآية اتصالاً وثيقاً . وأبقيت من ذلك ما لم أجد منه بداً فى إيضاح معنى الآية أو تقوية المعنى الراجح المختار فى تفسيرها .

١٠ - أحياناً يذكر المؤلف الحافظ حديثاً طويلاً لمناسبة تفسير آية أو معنى يتعلق بها ، ولا يكون كله فى موضع الشاهد المتعلق بالآية ، بل بعضه فقط .

فرأيت أن أقصر فى مثل هذه الحال على موضع الشاهد منه ؛ لأن المقصد الأصلى هو التفسير ، لا رواية الحديث كله . وأشير بكلمة تدل على ذلك ، وأضعها بين معكفين هكذا : [] دون أن أنه عليه ، ليعلم القارئ أن هذا من صنعى ، لا من صنع ابن كثير .

١١ - وأصنع نحو هذا فيما يذكر المؤلف من الأحداث التاريخية المطولة ، التى تتعلق بالتفسير . فأضع الملخص الذى أكتبه بين المعكفين أيضاً ، دلالة على أنه من كلامى لا من كلامه .

١٢ - أما الزيادات التى أضعها بين المعكفين أثناء الكلام ، سواء أكانت زائدة فى المخطوطة الأزهرية على المطبوعة ، أم كانت زيادة من قبلى لتصحيح الكلام ، مما لا يفهم الكلام أو لا يتم إلا به - فإنى أنه على ذلك وعلى سبب الزيادة فى الهامش . حتى يقر المطلع على الكتاب أنى لم أتصرف فى الأصل إلا على أساس علمى صحيح . وأصيب وأخطئ ، كما يخطئ الناس ويصيبون ، والتوفيق من الله .

١٣ - وهناك تغيير أكتفى بالإشارة إليه هنا . وهو ما اقتضاه حذفى للأمانيد التى يسوقها المؤلف للأحاديث - كما بينت فى الفقرتين الرابعة والخامسة : فإما أن أذكر الحديث أولاً ، مبتدئاً باسم الصحابى مثلاً : « عن فلان » ، ثم أذكر الكتب التى نسبها إليه الحافظ . وإما أن أذكر الكتاب الذى روى منه أولاً ، فأقول مثلاً : « روى البخارى » أو « روى الإمام أحمد » ، ثم أكمل التخرىج الذى

(١) جذبها : أى ذمها وعابها .

ذكره المؤلف ، بعد سياق الحديث . دون أن أشير في كل موضع إلى هذا التغيير ، فإنه يدهى ألبأ إليه حذف الإسناد .

١٤ - وتغيير آخر بسيط ، فى سياق أقوال الصحابة أو التابعين فمن بعدهم ، فى تفسير الآيات . فقد أذكر القول ثم أبين قائله ، وقد أقدم اسم قائل ذلك بعد حذف الإسناد إليه - على ما يقضى به نظام الكلام وسياقه .

١٥ - وآيات القرآن الحكيم المفسرة ، التى يذكرها الحافظ ابن كثير ويبدأ بها مجموعة - نرسمها على رسم المصحف العثماني ، مضبوطة بالشكل الكامل ، على الرسم الثابت فى المصحف الذى طبعته الحكومة المصرية مراراً ، بعد تصحيحه ومراجعته فى لجنة علمية عظيمة ، برئاسة الشيخ محمد بن على ابن خلف الحسينى - شيخ المقارئ المصرية إذ ذاك ، رحمه الله - فى سنة ١٣٣٧هـ .

١٦ - وثبت فى آخر كل آية رقمها على ما فى ذلك المصحف الجليل .

١٧ - وأما الوقوف أثناء الآيات ، فنضع بجوارها شولة هكذا « ، » دون تقيد بالاصطلاح فيه بين : وقف جائز على التساوى ، أو جائز مع أولوته ، أو جائز مع أولوية الوصل . إلا الوقف اللازم ، فإننا نضع فوق الشولة ميماً صغيرة هكذا « م » .

١٨ - وأما الكلمة التى فيها وقفان : قبلها وبعدها ، والتى لا يجوز فيها إلا أحدهما - ولها اصطلاح خاص فى ذلك المصحف - فإننا سنتخير أجودهما وأولاهما فى المعنى . مثل « ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) » . فإن الوقف بعد « فيه » أدق وأجود من الوقف قبلها .

١٩ - ونضع فى رأس كل صفحة اسم السورة ورقم الآيات المفسرة ، حتى يسهل على القارئ البحث عما يريد من التفسير دون عناء .

٢٠ - وثبت بجوار أوائل أجزاء القرآن الثلاثين - بالهامش - كلمة « الجزء » وتحتها رقمه .

٢١ - وثبت بجوار أوائل الأرباع - بالهامش أيضاً - كلمة « ربع » . ومعناها : ربع حزب ، والحزب نصف جزء . ولكننا لا نتقيد بذكر الأحزاب ولا أرقام أرباعها : « نصف الحزب » ، « ثلاثة أرباع الحزب » - المثبتة بهامش المصحف ؛ لأن أكثر الناس لا يعرفون إلا أنها كلها أرباع فذلك أيسر لهم .

٢٢ - وإذا كان أول الربع أول الآيات التى يذكرها الحافظ المفسر ، اكتفينا بكلمة « ربع » . أما إذ كان أثناء الآيات ، فإننا نضع بجواره - بعد رقم الآية التى قبله - نجمة صغيرة هكذا « * » للدلالة على ذلك .

٢٣ - ونكتب بالهامش أيضاً - بجوار مواضع السجودات فى الآيات - كلمة « سجدة » ؛ ليعرف موضع السجود عند التلاوة ، إن شاء الله .

وأنا بفطرتى العلمية ، وبما خبرت من شأن الكتب ونفائس التراث الإسلامى العظيم - أكره اختصار الكتب أو أى تصرف فيها . ولكنى لمست الحاجة الماسة والضرورة الملحة لتقريب التفسير للمتوسطين من المثقفين ، الذين لم يمارسوا دقائق العلم ، ولم يتصلوا باصطلاحات العلماء الأئمة فى

الفنون ، ولطلاب العلوم الإسلامية فى شتى أنحاء العالم الإسلامى . فرأيت أن لابد مما ليس منه بد .

ثم قوى من عزمى وأزال ترددى ما رأيت فى (مخطوطة الأزهر) من (تفسير ابن كثير) . فإننى وجدتُها قد خلت من كثير مما رأيت حذفه ، كأنها مختصرة من الكتاب ، وما هى بمختصرة . ولكنى رجحت - كأنه اليقين - أن الحافظ رحمه الله كان لا يزال ينظر فى كتابه ، فيزيد فيه ما يرى زيادته ، من أبحاث كلامية ، وفروع فقهية ، وأبحاث لغوية ، وأقوال وآراء للعلماء الأئمة . فخرجت نسخ الكتاب مختصرة ومطولة ، كما هو شأن كثير من العلماء الكبار الذين يحرصون على العلم والمعرفة - والمثل فى ذلك حاضرة ، لا نطيل بذكرها .

وأسأل الله العلى القدير أن يوفقنى لإتمام هذا المختصر ، على النحو المفيد المجدى المجزئ . وأن يوفقنى لإخراج الأصل إخراجاً علمياً صحيحاً . إنه سميع الدعاء ، وهو ولى التوفيق .

كلمات لابن كثير بشأن الإسرائيليات

للحافظ ابن كثير كلمات قوية فى شأن الإسرائيليات وروايتها، وقد رسم فى بعضها خطته نحوها . ولكنى رأيته - على الرغم من ذلك - يحكى بعضها ، وكثيراً ما يعقب على ما يحكى بالرد . وقد رأيت أن أجمع هنا - فى هذه المقدمة - ما وجدته أثناء قراءتى فيه مما قيدت الإشارة إلى موضعه . وعسى أن أستطيع جمع ما فاتنى من ذلك، ثم أذكره فى آخر هذا الكتاب (العمدة) إن شاء الله .

فقال فى مقدمة تفسيره (ص ٤٣ ، ٤٤) - بعد أن ذكر حديث : « بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » : « ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد ، لا للاعتضاد . فإنها على ثلاثة أقسام :

أحدها : ما علمنا صحته مما بأيدينا مما نشهد له بالصدق ، فذاك صحيح .

والثانى : ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه .

والثالث : ما هو مسكوت عنه ، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ولا نكذبه ، ونجوز حكايته لما تقدم . وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر دينى ؛ ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب فى مثل هذا كثيراً ، ويأتى عن المفسرين خلاف بسبب ذلك . كما يذكرون فى مثل أسماء أصحاب الكهف ولون كلبهم وعدتهم ، وعصا موسى من أى شجر كانت ؟ وأسماء الطيور التى أحياها الله لإبراهيم ، وتعين البعض الذى ضرب به القتيل من البقرة ، ونوع الشجرة التى كلم الله منها موسى . . . إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى فى القرآن ، مما لا فائدة فى تعيينه تعود على المكلفين فى دنياهم ولا دينهم، ولكن نقل الخلاف عنهم فى ذلك جائز . كما قال تعالى : « سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْتَهُمْ كَلِمَةَ اللَّهِ » إلى آخر الآية [الكهف : ٢٢] .

ويقول أحمد محمد شاكر عفا الله عنه : إن إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه ولا كذبه شئ، وذكر ذلك فى تفسير القرآن، وجعله قولاً أو رواية فى معنى الآيات، أو فى تعيين ما لم يعين فيها، أو فى تفصيل ما أجمل فيها شئ آخر!! لأن فى إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يوهم أن هذا الذى لا نعرف صدقه ولا كذبه مبين لمعنى قول الله سبحانه، ومفصل لما أجمل فيه! وحاشا لله ولكتابه من ذلك . وإن رسول الله ﷺ إذ أذن بالتحدث عنهم - أمرنا ألا نصدقهم ولا نكذبهم ، فأى تصديق لرواياتهم وأقوالهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله ونضعها منه موضع التفسير أو البيان ؟! اللهم غفرأ .

وقد قال الحافظ ابن كثير نفسه ، فى تفسير الآية (٥٠) من سورة الكهف - بعد أن ذكر أقوالاً فى «إبليس» واسمه ومن أى قبيل هو ؟! : « وقد روى فى هذا آثار كثيرة عن السلف، وغالبها من الإسرائيليات التى تنقل لينظر فيها ، والله أعلم بحال كثير منها . ومنها ما قد يقطع بكذبه ، لمخالفته للحق الذى بأيدينا ، وفى القرآن غنية عن كل ما عدها من الاخبار المتقدمة ؛ لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان ، وقد وضع فيها أشياء كثيرة . وليس لهم من الحفاظ المتقين - الذين ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين - كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء ، والسادة والأتقياء ، والبررة والنجباء ، من الجهادة النقاد ، والحفاظ الجياد ، الذين دونوا الحديث وحرروه ، وبينوا صحيحه من

حسنه من ضعفه ، من منكره وموضوعه ومتروكه ومكذوبه ، وعرفوا الرضاعين والكذابين والمجهولين ، وغير ذلك من أصناف الرجال . كل ذلك صيانة للجنان النبوى والمقام المحمدى ، خاتم الرسل وسيد البشر ﷺ - أن ينسب إليه كذب ، أو يحدث عنه بما ليس منه ، فرضى الله عنهم وأرضاهم ، وجعل جنات الفردوس مأواهم . وقد فعل » .

وقال عند تفسير الآيات (٥١ - ٥٦) من سورة الأنبياء - بعد إشارته إلى حال إبراهيم عليه السلام مع أبيه ، ونظره إلى الكواكب والمخلوقات : « وما قصه كثير من المفسرين وغيرهم ، فعاتبها أحاديث بنى إسرائيل . فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه ؛ لموافقته الصحيح ، وما خالف منها شيئاً من ذلك رددناه ، وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة ، لا نصدقه ولا نكذبه ، بل نجعله وقفاً . وما كان من هذا الضرب منها فقد رخص كثير من السلف فى روايته ، وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه ، ولا حاصل له مما ينتفع به فى الدين ، ولو كانت فائدته تعود على المكلفين فى دينهم لبيتته هذه الشريعة الكاملة الشاملة . والذى نسلكه فى هذا التفسير الإعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية ، لما فيها من تضيع الزمان ، ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم . فإنهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها ، كما حرره الأئمة الحفاظ المتقنون من هذه الأمة » .

وقال عند تفسير الآية (١٠٢) من سورة البقرة : « وقد روى فى قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين ، كمجاهد والسدى والحسن البصرى وقتادة وأبى العالية والزهرى والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وغيرهم ، وقصها خلق من المفسرين ، من المتقدمين والمتأخرين ، وحاصلها راجع فى تفصيلها إلى أخبار بنى إسرائيل ؛ إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى . وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها ، فنحن نؤمن بما ورد فى القرآن على ما أراده الله تعالى ، والله أعلم بحقيقة الحال » .

وقال فى أول سورة ق : « وقد روى عن بعض السلف أنهم قالوا : ق ، جبل محيط بجميع الأرض ، يقال له : جبل قاف ! وكأن هذا - والله أعلم - من خرافات بنى إسرائيل التى أخذها عنهم بعض الناس ، لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب . وعندى أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم ، يلبسون به على الناس أمر دينهم . كما افترى فى هذه الأمة - مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها - أحاديث عن النبى ﷺ ، وما بالعهد من قدم ، فكيف بأمة بنى إسرائيل ، مع طول المدى ، وقلة الحفاظ النقاد فيهم ، وشربهم الخمر ، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه ، وتبديل كتب الله وآياته . وإنما أباح الشارع الرواية عنهم فى قوله : « وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج » فيما قد يجوزه العقل . فأما فيما تحيله العقول ، ويحكم فيه بالبطلان ، ويغلب على الظنون كذبه - فليس من هذا القبيل » .

وقال عند تفسير الآيات (٤١ - ٤٤) من سورة النمل ، وقد ذكر فى قصة ملكة سبأ أثراً طويلاً عن ابن عباس ، وصفه بأنه « منكر غريب جداً » - ثم قال : « والأقرب فى مثل هذه السياقات أنها متلفاة عن أهل الكتاب ، مما وجد فى صحفهم ، كروايات كعب ووهب ، سامحهما الله فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بنى إسرائيل ، من الأوابد والفرائب والمجائب ، مما كان وما لم يكن ، ومما حرف

وبدل ونسخ . وقد أغنانا الله سبحانه عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ . ولله الحمد والمنة .

وقال عند تفسير الآية (٤٦) من سورة العنكبوت ، بعد أن روى الحديث : « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » - قال : « ثم ليعلم أن أكثر ما يتحدثون به غالبه كذب وبهتان ؛ لأنه قد دخله تحريف وتبديل وتغيير وتأويل . وما أقل الصدق فيه ، ثم ما أقل فائدته لو كان صحيحاً » .

وقال عند تفسير الآية (١٩٠) من سورة الأعراف : « ثم أخبرهم على ثلاثة أقسام : فمنها ما علمنا صحته ، بما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله . ومنها : ما علمنا كذبه ، بما دل على خلافه من الكتاب والسنة أيضاً . ومنها : ما هو مسكوت عنه ، فهو المأذون فى روايته ، بقوله عليه السلام : « حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج » . وهو الذى لا يصدق ولا يكذب ، لقوله : « فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » .

وهناك قصة طويلة جداً ، رواها النسائي فى باب التفسير من السنن الكبرى - التى لم نرها - وابن أبى حاتم فى تفسيره ، عن ابن عباس ، ويسمياها الحافظ ابن كثير « حديث الفتون » ، ساقه بطوله عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَتَنَافَعُوا ﴾ من الآية (٤٠) من سورة طه - ثم قال : « وهو موقوف من كلام ابن عباس ، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه ، وكأنه تلقاه ابن عباس مما أبيع نقله من الإسرائيليات ، عن كعب الأبحار أو غيره ، والله أعلم . وسمعت شيخنا أبا الحجاج المزرى يقول ذلك أيضاً » . وهذا الحديث - حديث الفتون - يشير إليه الحافظ ابن كثير ، فى مواضع متعددة من تفسيره . وقد نقيته عن كتابى هذا نقياً ، ولم أشر إليه إلا مرة واحدة ، عند أول مرة أشار إليه ابن كثير فيها ، عند تفسير الآية (٤٩) من سورة البقرة ، ثم أعرضت عن الإشارة إليه ، إن شاء الله ، فلا أشير إليه إلا أن أضطر إلى ذلك اضطراراً . وأسأل الله التوفيق والتيسير ، والهدى والسداد .

ومن أعظم الكلم فى الدلالة على تنزيه القرآن العظيم عن هذه الأخبار الإسرائيلية - كلمة لابن عباس رواها البخارى فى صحيحه ، ونقلها عنه الحافظ ابن كثير ، عند تفسير الآية (٧٩) من سورة البقرة . فقال ابن عباس : « يا معشر المسلمين ، كيف تسألون أهل الكتاب عن شئ ، وكتابكم الذى أنزل الله على نبيه أحدث أخبار الله ، تقرؤونه محضاً لم يشب ! وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا كتاب الله وغيروه ، وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا : هو من عند الله ، ليشتروا به ثمناً قليلاً . أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ؟ ولا والله ما رأينا منهم أحداً قط سألكم عن الذى أنزل إليكم » . وهذه الموعظة القوية الرائعة ، رواها البخارى فى ثلاثة مواضع من صحيحه ٢١٥/٥ ، و ١٣ / ٢٨٢ ، ٤١٤ من فتح البارى .

مخطوطة الأزهر

هى مخطوطة نفيسة فى المكتبة الأزهرية ، تحت رقم (١٦٨ تفسير) . فى سبعة مجلدات ، مجموع أوراقها (٢١٩٥) ورقة ، وهى كاملة إلا خروماً فى المجلد الثالث منها ، وقد صورتها لمكتبتى .

كتبها « محمد بن على الصوفى ، البواب بالخانقاه السمسطائية ، بدمشق المحروسة » ، كما أثبت ذلك ناسخها . وفرغ من كتابتها يوم ١٠ جمادى الأولى سنة ٨٢٥ هـ . أمره بكتابتها « قاضى القضاة ، حاكم الحكام ، نجم الدين ، حجة الإسلام والمسلمين ... عمر ، ابن سيدنا ومولانا ... أبى محمد حجبى السعدى الشافعى ... برسم خزانته » . وأثبت كتابتها ذلك فى وثيقة مطولة فى آخر النسخة .

وقاضى القضاة نجم الدين بن حجبى ولد سنة ٧٦٧ هـ بدمشق ، ومات فيها قتيلاً ليلة الأحد مستهل ذى القعدة سنة ٨٣٠ هـ . وهو مترجم فى الضوء اللامع للسخاوى ٧٨/٦ ، ٧٩ ، والدارس فى تاريخ المدارس ١/٢٥٧ ، ٢٥٨ ، والشذرات ٧/١٩٣ . وكنيته عندهم « أبو الفتوح » . ولكن كاتب هذه النسخة قال : « أبو حفص » . فلا أدري : أكان له كنيستان ؟ أم أن ما أثبتته كاتب النسخة أقرب إلى القبول ؛ لأنه من أتباعه ؟ وهذه النسخة يغلب عليها الصحة ، والخطأ فيها قليل ، بما خبرتها فى مواضع كثيرة ، وفى عملى فى هذا الكتاب . ولكن أستاذنا السيد رشيد رضا رحمه الله لم ينصفها حين وصفها . فإنه حين وصف عمله فى إخراج هذا التفسير ، فى آخر كتاب « فضائل القرآن » الذى ألحقه بالمجلد التاسع الأخير منه - قال : « ثم استعزنا من خزانة كتب الجامع الأزهر النسخة الخطية الوحيدة التى فيها ، وليست من الأصول الصحيحة التى يعتمد عليها ، بل هى كثيرة التصحيف والتحريف والسقط » ! وهكذا قال رحمه الله . أما « السقط » ، فقد بينا أنه ليس كذلك ، وإنما هناك نسخ أخرى فيها زيادات زادها الحافظ ابن كثير بعد التأليف . ولعلنا نزيد ذلك بياناً وإثباتاً ، إذا يسر لنا إخراج التفسير كله فى طبعة علمية محققة ، إن شاء الله .

وأما « التصحيف والتحريف » ، فإنه فيها قليل ، مما لا يخلو منه مخطوط أو مطبوع ، بل إنى لاستطيع أن أقرر أن أكثر ما أجد فى مطبوعة المنار من أغلاط وتصحيفات ، أجدّه ثابتاً على الصواب فى هذه المخطوطة ، « مخطوطة الأزهر » ، وإنى لأجد فى بعض المواضع هامشة لأستاذنا رحمه الله ، يذكر فيها ما فى نسخة الأزهر ، ثم يتبين أنه هو الصواب ، وأن ما أثبت فى صلب الكتاب هو الخطأ أو التصحيف .

والذى أرجحه أن أستاذنا رحمه الله لم يقابل الكتاب على نسخة الأزهر بنفسه ، ولعله عهد بذلك إلى بعض من يلوذ به من الطلاب أو غيرهم ، بعد أن نظر إلى النسخة نظرة عجلية ، على ما كان من مشاغله الكثيرة ، وما اعتذر به فى آخر كلمته من المرض الطويل الذى منعه من كل عمل ، رحمه الله رحمه واسعة .

وها هى ذى نماذج مصورة^(١) من بعض صفحاتها ، قد تقنع القارئ ببعض ما أقول ، إن لم يكن به كله . وأسأل الله سبحانه الهدى والسداد ، والعصمة والتوفيق .

الاثنين : ٢٣ ذى القعدة سنة ١٣٧٥ هـ . أحمد محمد شاكر

٢ يوليو سنة ١٩٥٦ م . عفا الله عنه بمته

(١) ستأتى بعد ترجمة الحافظ ابن كثير . (الباز) .

بسم الله الرحمن الرحيم^(١)

الحمد لله رب العالمين ، حمد الشاكرين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين ، سيدنا محمد رسول الله ، وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

فقد اقتنيت قبل الشروع فى هذا الجزء صوراً لخمس مجلدات مخطوطة من تفسير ابن كثير ، من نسخة عتيقة نفيسة صحيحة ، الخطأ فيها نادر جداً ، أحد هذه المجلدات من المكتبة الأزهرية ، وهو المجلد الثالث ، وباقيها من دار الكتب المصرية ، وهى المجلدات ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، وكلها من نسخة واحدة .

فهذه النسخة مقسمة إلى عشر مجلدات ، خلافاً للمخطوطة الأزهرية المقسمة إلى سبع مجلدات^(٢) . وهذه النسخة العتيقة أقدم من النسخة الأزهرية - على اليقين - بما يظهر من خطها ، بل لعلها كتبت فى حياة المؤلف ، وهو الراجح عندنا ، ويؤيد ذلك : أن ناسخها كتب بهامش ص (٨٥) منها ، عند آخر تفسير الآية : ٩٩ من سورة الأنعام ما نصه : « آخر الجزء الأول من تفسير سورة الأنعام ، من خط المؤلف عفا الله عنه » . فالظاهر من هذا الدعاء - عفا الله عنه : أن المؤلف - رحمه الله - كان حياً عند كتابته .

وقد ضاع باقى هذه النسخة وما يدرينا ، لعله موجود فى أنحاء من الدنيا لم يصل إلينا علمها ، أو لعل عوادى الزمن أتت عليه ، أو فرقت فى أماكن متعددة ، كما فرقت هذه المجلدات الخمس ، بين المكتبة الأزهرية ودار الكتب المصرية ، فى مدينة واحدة ، هى مدينة القاهرة . وهاك بيان ما اشتملت عليه هذه المجلدات الموجودة :

المجلد الثالث : أوله أول تفسير سورة الأنعام ، وآخره آخر تفسير الآية : ٣٦ من سورة التوبة ، وهو يوافق ص (٤٧١) من المخطوطة الأزهرية . وقد ختم المؤلف رحمه الله تفسير هذه الآية بقوله : « ولنذكر الأحاديث الواردة فى ذلك » . وهذه الجملة ثابتة فى المخطوطة الأزهرية ، وبعدها بياض قبل البدء فى تفسير الآية التى بعدها ، فلم تذكر فيها الأحاديث التى وعد بها الحافظ ابن كثير . وكذلك ثبت فى مطبوعة المنار ١٦٤/٤ . وكتب أستاذنا السيد رشيد رضا بهامش هذا الموضع ما نصه : « ترك المصنف - رحمه الله - بياضاً بعد هذا لذكر الأحاديث التى وعد بها ، والظاهر أنه توفى قبل أن يكتبها .

المجلد السادس : أوله أول تفسير سورة الإسراء ، وآخره آخر تفسير سورة الحج . ولكن فى أوله خمس صفحات وبضعة أسطر من الصفحة السادسة بخط آخر دقيق مخالف لخط سائر النسخة ، متصل بما بعده .

المجلد الثامن : أوله أول تفسير سورة الأحزاب ، وآخره آخر تفسير سورة حم السجدة .

المجلد التاسع : أوله أول تفسير سورة الشورى ، وآخره آخر تفسير سورة الممتحنة ، وفى آخره

(١) كتب فضيلة الشيخ أحمد شاكر هذه المقدمة قبل تفسير سورة الأنعام بعد وقوفه على أجزاء لمخطوطة أخرى من دار الكتب المصرية ، حيث قام بضبط النص ابتداء من أول الأنعام حتى الآية رقم (٨) من سورة الأنفال على المخطوطتين . ولم نعر على هذه الأجزاء فآتينا بضبط النص حتى آخر المختصر على المخطوطة الأزهرية الكاملة . (الباز) .

(٢) وصفنا المخطوطة الأزهرية فى الصفحة السابقة .

أربع ورقات بخط آخر مخالف لخطه .

المجلد العاشر : أوله أثناء تفسير الآية : ٢ من سورة الصف ، فهو ينقص ورقة واحدة من أوله ، ثم ينتهى إلى آخر تفسير القرآن الكريم ، ثم يتلوه بالخط نفسه « كتاب فضائل القرآن » للمؤلف ، وضاعت منه الورقة الأخيرة ، والذي كان فيها هو بضعة أسطر من آخر « كتاب فضائل القرآن » ، ويحتمل أن يكون فى هذه الورقة الناقصة اسم الكاتب وتاريخ الكتابة ؛ ولذلك لم نستطع الجزم بتاريخ كتابتها ، لخلو سائر الأجزاء من التاريخ واسم الكاتب .

وما يجدر التنبيه له ما ذكرنا آنفاً : أن كاتب هذه النسخة كتب بهامش الصفحة (٨٥) من المجلد الثالث : « آخر الجزء الأول من تفسير سورة الأنعام ، من خط المؤلف - عفا الله عنه . » فإنه قد يفهم منه أن المؤلف قسّم تفسير سورة الأنعام إلى أجزاء صغيرة ، فلماذا كان البدء بالجزء الأول من تفسير سورة الأنعام؟! ولماذا لم يكن التقسيم إلى أجزاء من أول تفسير القرآن؟! ثم لماذا لم يذكر الكاتب بعد ذلك - إلى آخر الكتاب - بياناً بتجزئة المؤلف ، واقتصر على بيان « آخر الجزء الأول من تفسير سورة الأنعام »؟!

ليس بين أيدينا فى هذه النسخة ما يفسّر هذا الصنيع ويجيب عن هذه الاسئلة الضرورية فى مثل هذا المقام!! ولكننا وجدنا فى النسخة الأزهرية شيئاً قد يضىء لنا الطريق إلى فهم هذا التصرف ، فإن كاتبها كتب بهامش ص (١٠٨) من الجزء الثالث منها ، قبيل نهاية تفسير الآية : ١٠٠ من سورة الأنعام ما نصه :

« حشـ [أى : حاشية] : آخر أول أجزاء المؤلف - رحمه الله - من هذه السورة ، ومن هذه الآية ابتدأ بتعليق هذا التفسير إلى آخر القرآن العظيم، ثم فسّر من سورة البقرة إلى ههنا، ووافق آخر التعليق يوم الجمعة رابع عشر ذي قعدة ، سنة إحدى وأربعين وسبع مائة ، فكتب الجميع فى نحو أربع سنين» .

فهذه الحاشية توافق ما كتب على هامش النسخة العتيقة : أن آخر الجزء الأول من تفسير سورة الأنعام - فى خط المؤلف - هو آخر تفسير الآية : ٩٩ من هذه السورة ، ثم تفيدنا ثلاث فوائد جديدة :

١ - أن الحافظ ابن كثير بدأ تأليف هذا التفسير من أول الآية : ١٠٠ من سورة الأنعام ، حتى أتم تفسير القرآن العظيم ، ثم رجع عوداً على بدء ، فكتب تمة التفسير من أوله إلى آخر الآية : ٩٩ من سورة الأنعام .

٢ - أنه فرغ من كتابة التفسير يوم الجمعة ٢٤ ذى القعدة سنة ٧٤١ هـ .

٣ - أنه كتب هذا التفسير الجليل فى نحو ٤ سنين .

ولكن لماذا بدأ الحافظ ابن كثير فى كتابة التفسير من أول الآية : ١٠٠ من سورة الأنعام ؟ ولماذا هذه الآية بالتحديد ، وهى ليست بدء سورة ، وليست بدء جزء ، وليست بدء ربع حزب؟! ونص الآية :

١٠٠ التي بدأ بتفسيرها ، هو : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ .

لسنا نستطيع أن نعلل هذا التصرف إلا بشيء واحد، قد يكون هو الحقيقة، في أغلب الظن عندنا ؛ إذ ليس بيدنا دليل آخر يرشدنا إلى تعليله الصحيح ؛ وذلك : أن يكون الحافظ ابن كثير - رحمه الله - بدأ دروساً علمية لتلاميذه في تفسير القرآن تفسيراً شفوياً في الدرس فقط ، وأن الرغبة كانت تساوره ليكتب ما يفسر به ، فيتردد في الكتابة ، أو أن طلابه كانوا يسألونه كتابة التفسير ، فيتراوح بين الإقدام والإحجام ، حتى أتم التفسير الشفوي في الدرس إلى نهاية الآية : ٩٩ من سورة الأنعام ، ثم زال تردده ، ووقفه الله للعزم على كتابة هذا التفسير الجليل ، فلم يرد أن يقطع الدرس ويستأنف التفسير ، فكتب من حيث انتهى في القراءة ، من بدء الآية : ١٠٠ من سورة الأنعام ، حتى إذا أتم درس التفسير العظيم قراءةً وكتابةً ، استأنف إتمام التفسير من أول الكتاب العزيز ، إلى حيث انتهى من قبل ، فكان القسم الذي كتبه من سورة الأنعام إلى آخر الآية : ٩٩ هو آخر الجزء الأول من تفسيرها في خطه ، فهو جزء أول في تفسيرها ، لهذا السبب ، لا قصداً إلى تقسيم تفسير سورة الأنعام إلى أجزاء ، ولا قصداً إلى تقسيم التفسير نفسه كله إلى أجزاء ؛ إذ لو قصد إلى هذا لم يكن أول سورة الأنعام أول أجزاء التفسير ، كما هو بديهي .

ولعلنا نجد فيما نستقبل من العمل فيه ، إن شاء الله ، ما يدلنا على حقيقة ما كان . وهذا غاية جهدنا الآن ، والحمد لله رب العالمين .

مساء الاثنين : ٧ رجب سنة ١٣٧٧ هـ .

٢٧ يناير سنة ١٩٥٨ م .

أحمد شاكر

ترجمة الحافظ ابن كثير

الإمام الحافظ الحجة المحدث المؤرخ الثقة ، ذو الفضائل ، عماد الدين ، أبو الفداء : إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير ، القرشي ، الدمشقي ، الشافعي .
ولد رحمه الله بقرية «مجدل» من أعمال «بُصْرَى» (١) . وكان أبوه من أهل «بُصْرَى» ، وأمه من قرية «مجدل» .

وقومه كانوا «يتسبون إلى الشرف، وبأيديهم نسب . وقف على بعضها شيخنا المزي فأعجبه وابتهج به، فصار يكتب في نسبي بسبب ذلك «القرشي» - كما قال هو في ترجمة أبيه في تاريخه «البداية والنهاية» .
وتاريخ مولده سنة ٧٠٠هـ ، كما ذكر أكثر من ترجم له، «أو بعدها بقليل» كما قال الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة . وهو تاريخ تقريبي ، أرجح أنه مستنبط من كلامه في ترجمة أبيه، حيث ذكر أن أباه «توفي سنة ٧٠٣هـ . . . وكنت إذ ذاك صغيراً ابن ثلاث سنين أو نحوها، لا أدركه إلا كالحلم» .

و «ابن ثلاث سنين» لا يعرف تواريخ السنين - على اليقين - في تلك السن . فقد سمع إذن تحديد السنة التي مات فيها أبوه ممن حوله من إخوة أو أهل أو جيران . ولكنه يدرك أباه «كالحلم» . فالذي هو في سن أقل من الثلاث ما أظنه يذكر شيئاً «كالحلم» ولا أبعد من الحلم ولا أقرب . فهو حين موت أبيه قد جاوز الثالثة - في أكبر ظني - ولذلك أرجح أن مولده كان في سنة ٧٠٠هـ أو قبلها بقليل . وهو أقرب إلى الصحة من قول الحافظ ابن حجر «أو بعدها بقليل» ؛ لأن الذي «بعدها» لا يكاد يبلغ الثالثة عند موت أبيه .

وكان أبوه «الخطيب شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير» من العلماء الفقهاء الخطباء . ولد - كما قال ابنه - في حدود سنة ٦٤٠هـ . وترجم له ابنه الحافظ في تاريخه الكبير «البداية والنهاية» (١٤) / (٣١ - ٣٣) .
ومما قال في ترجمته : «اشتغل بالعلم عند أخواله بنى عقبة بصري ، فقرأ «البداية» في مذهب أبي حنيفة ، وحفظ «جمل الزجاجي» ، وعنى بالنحو والعربية واللغة ، وحفظ أشعار العرب ، حتى كان يقول الشعر الجيد الفائق في المدح والمراثي وقليل من الهجاء . وقرر بمدارس بصري بمبرك الناقة شمالي البلدة ، حيث يزار ، وهو المبرك المشهور عند الناس (٢) ! والله أعلم بصحة ذلك .

ثم انتقل إلى خطابة القرية شرقي بصري ، وتذهب للشافعي ، وأخذ عن النواوي والشيخ تقي الدين الفزاري . وكان يكرمه ويحترمه ، فيما أخبرني شيخنا العلامة ابن الزمكاني . فأقام بها نحواً من ١٢ سنة ، ثم تحول إلى خطابة «مجدل» القرية التي سنّها الوالدة ، فأقام بها مدة طويلة ، في خير وكفاية وتلاوة كثيرة . وكان يخطب جيداً ، وله مقول عند الناس ، ولكلامه وقع ، لديانته وفصاحته وحلاوته . وكان يؤثر الإقامة في البلاد (٣) ، لما يرى فيها من الرفق ووجود الحلال له ولعيله .

(١) «مجدل» بكسر الميم وفتحها مع سكن الجيم وفتح الدال . و «بُصْرَى» بضم الباء وسكون الصاد وآخرها ألف مقصورة : بلد بالشام من أعمال دمشق . وهي قصبة كورة «حوران» .

(٢) يريد هؤلاء الناس - فيما يزعمون : مبرك ناقة صالح عليه السلام .
(٣) يعني القرى .

وقد ولد له عدة أولاد من الوالدة ومن أخرى قبلها. أكبرهم : إسماعيل ، ثم يونس ، وإدريس . ثم من الوالدة : عبد الوهاب ، وعبد العزيز ، وأخوات عدة . ثم أنا أصغرهم وسميت باسم الأخ «إسماعيل» ؛ لأنه كان قد قدم دمشق، فاشتغل بها بعد أن حفظ القرآن على والده، وقرأ مقدمة فى النحو، وحفظ التنبيه، وشرحه على العلامة تاج الدين الفزاري، وحصل المنتخب فى أصول الفقه. قاله لى شيخنا ابن الزمكائى . ثم إنه سقط من سطح الشامية البرانية ، فمكث أياماً ومات . فوجد الوالد عليه وجداً كثيراً ، ورثاه بأبيات كثيرة . فلما ولدت أنا له بعد ذلك سماني باسمه. فأكبر أولاده: إسماعيل، وأصغرهم وآخرهم : إسماعيل . فرحم الله من سلف ، وختم بخير لمن بقى . توفي والدى فى شهر جمادى الأولى سنة ٧٠٣هـ فى قرية مجدل، ودفن بمقبرتها الشمالية عند الزيتون، وكنت إذ ذاك صغيراً ، ابن ثلاث سنين أو نحوها. لا أدركه إلا كالحلم ، ثم تحولنا من بعده فى سنة ٧٠٧هـ إلى دمشق، صحبة «كمال الدين عبد الوهاب» وقد كان لنا شقيقاً، وبنا رفيقاً شغوفاً. وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمسين [يعنى سنة ٧٥٠هـ] . فاشتغلت على يديه فى العلم، فيسر الله تعالى منه ما يسر، وسهل منه ما تعسر.

وقد بدأ الاشتغال بالعلم على يد أخيه عبد الوهاب - كما قال آنفاً - ثم اجتهد فى تحصيل العلوم على العلماء الكبار فى عصره . وحفظ القرآن الكريم ، وختم حفظه سنة ٧١١هـ ، كما صرح بذلك فى تاريخه ١٤ / ٣١٢ . وقرأ بالقراءات، حتى عده الداودى من القراء^(١) ، وترجم له فى طبقاتهم التى ألفها^(٢) . وسمع الحديث من كثير من أئمة الحفاظ فى عصره ، وعنى بالسماع والإكثار منه ، فمما ذكر فى تاريخه ١٤ / ١٤٩ : أنه سمع صحيح مسلم فى تسعة مجالس على الشيخ نجم الدين بن العسقلانى، بقراءة الوزير العالم أبى القاسم محمد بن سهل الأزدى الغرناطى الأندلسى ، المتوفى بالقاهرة فى ٢٢ محرم سنة ٧٣٠هـ - حين قدم دمشق فى جمادى الأولى سنة ٧٢٤هـ عازماً على الحج .

وذكر فى ترجمة شيخه الكبير المعمر الرحلة شهاب الدين الحجار المعروف بابن الشحنة : أنه سمع عليه « بدار الحديث الأشرفية فى أيام الشتويات نحواً من خمسمائة جزء بالإجازات والسماع » . وهذا الشيخ « عاش مائة سنة محققاً ، وزاد عليها » . وتوفى سنة ٧٣٠هـ . (التاريخ ١٤ / ١٥٠) .

وتفقه على الشيخين برهان الدين الفزاري وكمال الدين ابن قاضى شهية . وحفظ التنبيه للشيرازى فى فروع الشافعية ، ومختصر ابن الحاجب فى الأصول . ولزم الحفاظ الكبير أبا الحجاج المزرى ، وقرأ عليه مؤلفه العظيم فى الرجال « تهذيب الكمال » . وصاهره على ابنته زينب^(٣) . وكان من أعظم تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية ، ولازمه وتخرج على يديه ، وكانت له به خصوصية ومناضلة عنه ، واتباع له فى كثير من آرائه ، وكان يفتى برأيه فى مسألة الطلاق^(٤) ، وامتنح بسبب

(١) الداودى : هو شمس الدين محمد بن على بن أحمد الداودى المصرى ، مات سنة ٩٤٥هـ . ولكن ابن الجزرى لم يذكر ابن كثير فى طبقات القراء .

(٢) وما ينبغى التنبيه إليه : أن « ابن كثير » هذا الحفاظ المفسر ، غير « ابن كثير » أحد القراء السبعة . فذلك اسمه « عبد الله ابن كثير المكي » ، إمام أهل مكة فى القراءة ، وهو قديم من التابعين ، روى عن ابن الزبير وأنس بن مالك . ولد سنة ٤٥هـ ، ومات سنة ١٢٠هـ .

(٣) ذكرها باسمها فى ترجمة شيخه الحفاظ المزرى ، المتوفى سنة ٧٤٢هـ . (التاريخ ١٤ / ١٩١ ، ١٩٢) .

(٤) أى وقوع الطلاق الثلاث بلفظ واحد طلقة واحدة ، كما هو الحق الذى تدل عليه الدلائل الصحاح .

ذلك وأودى .

وكان من أفضاذ العلماء فى عصره، أثنى عليه معاصروه وتلاميذه ومن بعدهم الثناء الجم: فذكره الحافظ الذهبى فى طبقات الحفاظ ٢٩/ ٤ ، مع أن الذهبى يكاد يكون من طبقة شيوخه؛ لأنه مات سنة ٧٤٨هـ، قبل ابن كثير بـ ٢٦ سنة . فقال فى طبقات الحفاظ : « وسمعت مع الفقيه المفتى المحدث ، ذى الفضائل ، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصروى الشافعى ... سمع من ابن الشحنة وابن الرداد وطائفة . له عناية بالرجال والمتون والفقه . خرج وناظر وصنف وفسر وتقدم » . وقال الذهبى فى المعجم المختص - فيما نقله ابن حجر وغيره : « الإمام المفتى المحدث البار ، فقيه متفنز ، محدث متقن ، مفسر نقال » .

وقال تلميذه شهاب الدين بن حجرى : « كان أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث ، وأعرفهم بتخريجها ورجالها ، وصحيحها وسقيمها . وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك . وكان يستحضر كثيراً من التفسير والتاريخ ، قليل النسيان . وكان فقيهاً جيد الفهم صحيح الذهن ، ويحفظ التنبيه إلى آخر وقت . ويشارك فى العربية مشاركة جيدة ، وينظم الشعر . وما أعرف أنى اجتمعت به - على كثرة ترددى عليه - إلا واستفدت منه » . (عن النعمى فى كتاب المدارس) .

وقال تلميذه الحافظ أبو المحاسن الحسينى فى ذيل تذكرة الحفاظ (ص ٥٨) : « وصاهر شيخنا أبا الحجاج المزرى فأكثر عنه ، وأفتى ودرس وناظر ، وبرع فى الفقه والتفسير والنحو ، وأمعن النظر فى الرجال والعلل » .

وقال الحافظ ابن حجر فى الدرر الكامنة : « ولأزم المزرى ، وقرأ عليه تهذيب الكمال ، وصاهره على ابنته . وأخذ عن ابن تيمية ففتن بحبه ، وامتنح بسببه . وكان كثير الاستحضار، حسن المفاكهة . سارت تصانيفه فى البلاد فى حياته ، وانتفع بها الناس بعد وفاته . ولم يكن على طريقة المحدثين فى تحصيل العوالى ، وتميز العالى من النازل ونحو ذلك من فنونهم ، وإنما هو من محدثى الفقهاء . وقد اختصر مع ذلك كتاب ابن الصلاح (١) ، وله فيه فوائد » .

ونقل السيوطى فى ذيل طبقات الحفاظ كلام الحافظ ابن حجر فى أنه « لم يكن على طريقة المحدثين ... » ثم تعقبه بقوله : « العمدة فى علم الحديث معرفة صحيح الحديث وسقيمه ، وعلله واختلاف طرقه ، ورجاله جرحاً وتعديلاً . وأما العالى والنازل ونحو ذلك - فهو من الفضلات ، لا من الأصول المهمة » . وهذا حق . وقال السيوطى أيضاً : « له التفسير الذى لم يؤلف على نمطه مثله » . يشير إلى هذا التفسير العظيم الذى نختصره .

وقال العلامة العيني - فيما نقل عنه ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة : « كان قدوة العلماء والحفاظ ، وعمدة أهل المعانى والألفاظ . وسمع وجمع ، وصنف ودرس ، وحدث وألف . وكان له اطلاع عظيم فى الحديث والتفسير والتاريخ ، واشتهر بالضبط والتحرير ، وانتهى إليه علم التاريخ

(١) كتابه هذا هو « اختصار علوم الحديث » . طبع أول مرة فى مكة المكرمة بالمطبعة الماجدية سنة ١٣٥٣هـ . بتصحيح أخينا العلامة الكبير الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة ، أحد كبار المدرسين الآن بالحرم المكى . ثم شرحت أنا شرحاً متوسطاً، وطبع فى مصر فى شهر ذى القعدة سنة ١٣٥٥هـ . ثم أعدت طبعه مرة أخرى مع زيادات وتنقيح فى الشرح، فى شهر ذى الحجة سنة ١٣٧٠هـ .

والحديث والتفسير . وله مصنفات عديدة مفيدة .

ووصفه الحافظ العلامة شمس الدين بن ناصر ، فى كتاب « الرد الوافر » - بأنه « الشيخ الإمام العلامة الحافظ ، عماد الدين ، ثقة المحدثين ، عمدة المؤرخين ، علم المفسرين » .

وقال فيه ابن حبيب - فيما نقل الداودى فى طبقات القراء وابن العماد فى الشذرات : « إمام ذوى التسبيح والتهليل ، وزعيم أرباب التأويل . سمع وجمع وصنف ، وأطرب الأسماع بأقواله وشف ، وحدث وأفاد ، وطارق فتاويه إلى البلاد ، واشتهر بالضبط والتحرير ، وانتهت إليه رياسته العلم فى التاريخ والحديث والتفسير » .

وروى له الحافظ ابن حجر فى إنباء الغمر ، وابن العماد فى الشذرات - البيتين المشهورين ، الذائعين على الألسنة :

تمر بنا الأيام تترى وإنما نساق إلى الآجال والعين تنظر
فلا عائد ذاك الشباب الذى مضى ولا زائل هذا المشيب المكدر

وصحبته وملازمته لشيخ الإسلام ابن تيمية أفادته أعظم الفوائد ، فى علمه ودينه ، وتقوية خلقه ، وتربية شخصيته المستقلة الممتازة .

فهو مستقل الرأى ، يدور مع الدليل حيث دار ، لا يتعصب لمذهبه ولا لغيره . وكتبه العظيمة - وخاصة هذا التفسير الجليل - فيها الدلائل الوافرة . ونجده - مع أنه شافعى المذهب - يفتى فى مسألة الطلاق الثلاث بلفظ واحد ، بما رجحته الدلائل الثابتة الصحاح ، أنه يقع طلقة واحدة ، ثم يمتحن ويلقى الأذى ، فيثبت على قوله ، ويصبر على ما يلقي فى سبيل الله .

وهو - وهو تلميذ شيخ الإسلام ومن خاصة أنصاره - يعرف ما كان بين شيخه شيخ الإسلام وبين قاضى القضاة تقي الدين السبكي - ومع ذلك فإنه لا يعين عليه فى محنة لحقته ، بل يعلن عن غبطته بأن تزول عنه المحنة . فيذكر فى التاريخ - فى حوادث سنة ٧٤٣هـ (١٤ / ٢٠٤) أنه أرجف الناس كثيراً بقاضى القضاة - فى دمشق - « واشتهر أنه سينعقد له مجلس للدعوى عليه بما دفعه من مال الأيتام إلى الطنبا وإلى الفخرى . وكتبت فتوى عليه بذلك فى تغريمه ، وداروا بها على المفتين ، فلم يكتب لهم أحد فيها غير القاضى جلال الدين ابن حسام الدين الحنفى ، رأيت خطه عليها وحده بعد الصلاة . وسئلت فى الإفتاء عليها فامتعت ، لما فيها من التشويش على الحكام » . ثم يقول : « وكانوا له فى نية عجيبة ، ففرج الله عنه بطلبه إلى الديار المصرية » . فهذا خلق أهل العلم النبلاء الأتقياء .

وقد طار ذكره فى الأقطار الإسلامية ، حتى إنه ليذكر فى حوادث سنة ٧٦٣هـ (١٤ / ٢٩٤ ، ٢٩٥) أن شاباً عجمياً حضر من بلاد تبريز وخراسان ، « يزعم أنه يحفظ البخارى ومسلماً ، وجامع المسانيد والكشاف للزمخشري وغير ذلك » ، وأنه امتحنه بقراءة مجالس من البخارى وغيره بحضرة قاضى القضاة الشافعى وجماعة من الفضلاء ، ثم قال : « وفرح بكتابتى له بالسماع على الإجازة . وقال : أنا ما خرجت من بلادى إلا إلى القصد إليك ، وأن تجيزنى . وذكرك فى بلادنا مشهور » .

وهذا الخبر يدل على أن كتابه « جامع المسانيد » وصل إلى أقصى الشرق ، فى بلاد تبريز

وخراسان، حتى يحفظه هذا الشاب الأعجمي أو يحفظ شيئاً منه . فى حين أن الحافظ ابن كثير لم يتم تأليف «جامع المسانيد» كما هو معروف. فكان العلماء وطلاب العلم كانوا ينسخون ما يخرج منه ، ويتداولونه بينهم ، حتى يصل من دمشق إلى تلك النواحي النائية .

ولم يكن ممن يخدع فى الفتاوى التى ظاهرها قصد الاستفتاء، ووراءها ألعيب سياسية، أو أغراض شخصية غير سليمة ، وإن كان المستفتى من الأمراء أو ممن يخشى بأسه . فهو يقول فى حوادث سنة ٧٦٢هـ : « وجاءتنى فتياً صورتها : ما تقول السادة العلماء فى ملك اشتري غلاماً فأحسن إليه وأعطاه وقدمه، ثم إنه وثب على سيده فقتله وأخذ ماله ومنع ورثته منه ؟ وتصرف فى المملكة ، وأرسل إلى بعض نواب البلاد ليقدم عليه ليقبله : فهل له الاستئذان منه ، وهل إذا قاتل دون نفسه وماله حتى يقتل يكون شهيداً ؟ وهل يثاب الساعى فى خلاص حق ورثة الملك المقتول من القصاص والمال ؟ أفئتنا مأجورين ؟ ».

فهذا استفتاء صيغ فى صورة توحى بالجواب. وباطنه أن ذاك الأمير السائل يريد أن يتمتع على الملك الذى دعاء للحضور عنده ، ويريد أن يثير فتنة وقتالاً على صاحب الأمر ، لعله يصل إلى ما يصل إليه ذاك من الملك ، كعادة الأمراء من الممالك فى ذلك العهد . ولكن ابن كثير يجيبه جواباً حكيمياً يكشف عن بعض مقصده ، ويضمن جوابه النصيحة فى مثل هذه الحال ، فيقول : « فقلت للذى جاءنى بها من جهة الأمير : إن كان مراده خلاص ذمته فيما بينه وبين الله تعالى - فهو أعلم بنيتة فى الذى يقصده ! ولا يسعى فى تحصيل حق معين إذا ترتب على ذلك مفسدة راجحة فى ذلك، فيؤخر الطلب إلى وقت إمكانه بطريقه ! وإن كان مراده بهذا الاستفتاء أن يتقوى بها فى جمع الدولة والأمراء عليه - فلا بد أن يكتب عليها كبار القضاة والمشايخ أولاً، ثم بعد ذلك بقية المفتين بطريقه » . (التاريخ ١٤ / ٢٨١ ، ٢٨٢).

وكان الإفرنج قد غدروا بمدينة الإسكندرية، وأشاعوا فيها الرعب، وارتكبوا الفظائع غدراً . وذلك : أنهم وصلوا إليها من البحر يوم الأربعاء ٢٢ محرم سنة ٧٦٧ هـ « فلم يجدوا بها نائباً ولا جيشاً ، ولا حافظاً للبحر ولا ناصراً . فدخلوها يوم الجمعة بكرة النهار، بعد ما حرقوا أبواباً كثيرة منها . وعاثوا فى أهلها فساداً ، يقتلون الرجال ، ويأخذون الأموال ، ويأسرون النساء والأطفال ، فالحكم لله العلى الكبير المتعال . وأقاموا يوم الجمعة والسبت والأحد والاثنين والثلاثاء ، فلما كان صبيحة الأربعاء قدم الشاليش المصرى ^(١) ، فأقلعت الفرنج - لعنهم الله - عنها ، وقد أسروا خلقاً كثيراً بقاربون الأربعة آلاف، وأخذوا من الأموال ذهباً وحريراً وبهاراً وغير ذلك ، ما لا يحصى ولا يوصف . وقدم السلطان والأمير الكبير يلغياً ظهر يومئذ وقد تفارط الحال ، وتحولت الغنائم كلها إلى الشوائب بالبحر، فسمع للأسارى من العويل والبكاء والشكوى والجأر إلى الله ، والاستغاثة به وبالمسلمين - ما قطع الأكباد ، وذرفت له العيون وأصم الأسماع . فإنا لله وإنا إليه راجعون. ولما بلغت الأخبار إلى أهل دمشق شق

(١) فى النجوم الزاهرة (٢٩/١١) طبعة دار الكتب المصرية) : « فلما وصل السلطان إلى الطرانة أرسل جاليشاً من الأمراء أمامه فى خفية ... » . وكتب مصححه الأستاذ محمد البرهامى منصور ، بهامشه : « الجاليش : مقدمة الجيش والراية العظيمة فى رأسها خصلة من الشعر » . وهى كلمة أعجمية - لعلها تركية أو فارسية - وفى مثلها الجليم شديدة التعطيش - بين الجليم والشين ، فيجوز تعريبها جيماً أو شيئاً ، مثل « شوايش » و « جاویش » .

عليهم ذلك جداً ، وذكر ذلك الخطيب يوم الجمعة على المنبر ، فتباكى الناس كثيراً . فإنا لله وإنا إليه راجعون» .

فهذه وقعة شنيعة غادرة من الإفرنج - كعادته - والنفوس تتقزز من مثلها ، وتثور من أجلها . والملوك والأمراء الظالمون ينتهزون فرصة تعبئة الرأي العام الإسلامى - وثورته من أجل هذا الغدر ، وغضباً لهذه الفظائع - لياكلوا أموال الناس بالباطل ، وظاهر أمرهم الانتقام وباطنه السلب والنهب . ولكن الحافظ ابن كثير يلزم جانب الحق والعدل ، ولا يرضى بالظلم ، ولو كان ظاهره الانتقام والثأر للمسلمين . فيقول : « وجاء المرسوم الشريف من الديار المصرية ، إلى نائب السلطنة ، بمسك النصارى من الشام جملة واحدة ، وأن يأخذ منهم ربع أموالهم ، لعمارة ما خرب من الإسكندرية ، ولعمارة مراكب تغزو الإفرنج . فأهانوا النصارى ، وطلبوا من بيوتهم بعنف . وخافوا أن يقتلوا ، ولم يفهموا ما يراد بهم فهربوا كل مهرب . « ولم تكن هذه الحركة شرعية ولا يجوز اعتمادها شرعاً » . وقد طلبت يوم السبت السادس عشر من صفر [أى سنة ٧٦٧ هـ] إلى الميدان الأخضر ، للاجتماع بنائب - السلطنة ، وكان اجتماعنا بعد العصر يومئذ ، بعد الفراغ من لعب الكرة ، فرأيت منه أنسا كبيراً ، ورأيتة كامل الفهم ، حسن العبارة كريم المجالسة . « فذكرت له أن هذا لا يجوز اعتماده فى النصارى » [يعنى المرسوم بالمصادرة] . فقال : إن بعض فقهاء مصر أفتى للأمير الكبير بذلك ! فقلت له : هذا عما لا يسوغ شرعاً ، ولا يجوز لأحد أن يفتى بهذا . ومتى كانوا باقين على الذمة ، يؤدون إلينا الجزية ملتزمين بالذلة والصغار ، وأحكام الملة قائمة - لا يجوز أن يؤخذ منهم الدرهم الواحد الفرد فوق ما يبذلونه من الجزية . ومثل هذا لا يخفى على الأمير ! فقال : كيف أصنع وقد ورد المرسوم بذلك ؟ ولا يمكننى أن أخالفه ؟! » . ثم ذكر أن نائب السلطنة كتب بذلك إلى الديار المصرية . ولكن هذا النائب لم يكن عند قوله ، فنفذ المرسوم ، و« طلب النصارى الذين اجتمعوا فى كنيستهم إلى بين يديه ، وهم قريب من أربعمائة ، فحلفهم : كم أموالكم ؟ وألزمهم بأداء الربع من أموالهم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون » . وكانت هذه المصادرة الظالمة فى شهر ربيع الأول سنة ٧٦٧ هـ . ثم قال الحافظ - فى حوادث شهر ربيع الآخر : « وفى أوائل هذا الشهر ورد المرسوم الشريف السلطانى ، بالرد على نساء النصارى ما كان أخذ منهن مع الجباية التى كان تقدم أخذها منهن وإن كان الجميع ظلماً ، ولكن الأخذ من النساء أفحش وأبلغ فى الظلم » . (التاريخ ١٤ / ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٨) .

فانظر إلى هذا الإمام العظيم ، الذى يقف عند حدود الشريعة المطهرة ، يقيم ميزان العدل الصحيح كما عرفه من دينه الخفيف ، ويألم ويسترجع لما ناب النصارى من مصادرة ظالمة من أمراء طغاة جائرين ، كما ألم واسترجع من قبل لما أصاب المسلمين من غدر النصارى وبغيهم ، وشتان هذا وذاك . ولكنه لا يرضى إلا أن يقيم ميزان العدل .

فكان هذا العقل المستقل الثابت على الحق ، الذى لا تغلبه العواطف والأهواء ، مما يجعل للرجل منزلة عند الناس كبيرة . يثق به أنصاره وغير أنصاره ، وموافقوه ومخالفوه . بل جعله موضع الثقة والاستشارة عند الذميين ، حتى ليستشيره بعض رؤسائهم ، فى أخص شؤونهم الكنيسية . فإنه يذكر قصة طريفة ، فى استشارة أحد البطاركة إياه فى ذلك ، يحسن أن نذكرها بعبارته بحروفها :

فقال - فى حوادث سنة ٧٦٧ هـ: « وحضر عندى يوم الثلاثاء تاسع شوال ، البترك بشارة ، الملقب بميخائيل ، وأخبرنى أن المطارنة بالشام بايعوه على أن جعلوه بتركاً بدمشق عوضاً عن البترك بأنطاكية . فذكرت له أن هذا أمر مبتدع فى دينهم ، فإنه لا تكون البتاركة إلا أربعة : بالإسكندرية ، وبالقدس ، وبأنطاكية ، وبرومية . فنقل رومية إلى إسطنبول ، وهى القسطنطينية ، وقد أنكر عليهم كثير منهم إذ ذاك ، فهذا الذى ابتدعوه فى هذا الوقت أعظم من ذلك . لكن اعتذر بأنه فى الحقيقة هو عن أنطاكية ، وإنما أذن له فى المقام بالشام الشريف ، لأجل أنه أمره نائب السلطنة أن يكتب عنه وعن أهل ملتهم إلى صاحب قبرص ، يذكر له ما حل بهم من الخزي والتكال والجناية بسبب عدوان صاحب قبرص على مدينة الإسكندرية . وأحضر لى الكتب إليه وإلى ملك إسطنبول، وقرأها على من لفظه . لعنه الله ولعن المكتوب إليهم أيضاً !! وقد تكلمت معه فى دينهم ، ونصوص ما يعتقد كل من الطوائف الثلاثة ، وهم: الملكية ، واليعقوبية - ومنهم الإفرنج والقط - والنسطورية ، فإذا هو يفهم بعض الشيء . ولكن حاصله أنه حمار ، من أكفر الكفار ! لعنه الله » . (التاريخ ٣١٩/١٤ ، ٣٢٠) .

ولا يعجب القارئ من أن ابن كثير أعلم بعقائد طوائف النصارى من أحد بتاركتهم . أستغفر الله ، بل إنه يذكر عن ذاك البترك ميخائيل الذى تكلم معه « أنه يفهم بعض الشيء » ؛ لأن ابن كثير رحمه الله من أوسع العلماء اطلاعاً على أقوال أهل الملل والنحل ، وخاصة مذاهب المسيحيين ، كما يدل عليه كلامه فى مواضع كثيرة فى التفسير والتاريخ ، بل يكفى فى الدلالة على سعة اطلاعه فى ذلك أن يكون تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية ، ذلك الذى ألف موسوعته النفيسة فى ذلك: « كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » . وهو مطبوع معروف .

وكان - رحمه الله - قد أضر فى آخر عمره . ثم مات يوم الخميس ٢٦ شعبان سنة ٧٧٤ هـ . وقال ابن ناصر: « وكانت له جنازة حافلة مشهورة . ودفن بوصية منه فى تربة شيخ الإسلام ابن تيمية ، بمقبرة الصوفية ، خارج باب النصر من دمشق » . مؤلفاته :

له مؤلفات كثيرة ، ما أظن أنى أستطيع استقصاءها الآن ، وبعضها مفقود ، أو لم نعرف مكان وجوده إلى الآن . وهو يشير إلى كثير منها فى التفسير وغيره من كتبه عند المناسبات . وسنذكر هنا ما وصل إليه علمنا ، وجله ومعظمه ما ذكره أخونا العلامة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة ، فى ترجمته إياه فى كتاب (اختصار علوم الحديث) :

١ - التفسير . وهو هذا الكتاب الذى نختصره ، وقد فصلنا وصفه فى المقدمة .

٢ - البداية والنهاية . وهو التاريخ النفيس المعروف . طبع منه بمصر سنة ١٣٥٨ هـ - ١٤ مجلداً كباراً ، أرخ فيه من بدء الخليقة إلى أثناء سنة ٧٦٨ هـ ، أى قبل وفاته بنحو ٦ سنوات . وبقي منه مجلدان لم يطبعا (١) . وهو القسم الأخير منه المشار إليه فى اسمه « النهاية » ، جمع فيه ما ورد من الأخبار فى الفتن وأشراف الساعة والملاحم وأحوال الآخرة .

٣ - السيرة النبوية (مطولة) . ولم نره ، ولكنه أشار إليه وإلى السيرة المختصرة فى تفسير الآية

(١) قد تم طبعهما . (الباز) .

(٦) من سورة الأحزاب « في كتاب السيرة التي أفردها موجزاً وبسيطاً » .

٤ - السيرة (مختصرة) . وقد طبعت بمصر سنة ١٣٥٨ هـ تحت اسم « الفصول في اختصار سيرة الرسول » . وهذا المطبوع غير كامل يقيناً . فلا أدري أقتصر المؤلف رحمه الله على هذا القدر ؟ أم فقد باقى الكتاب ؟ فإنه يقول في خطبة الكتاب : « لا يجمل بأولى العلم إهمال معرفة الأيام النبوية والتواريخ الإسلامية » . ثم يقول : « وقد أحببت أن أعلق تذكراً في ذلك . . . وهى مشتملة على ذكر نسب رسول الله ﷺ وسيرته وأعلامه ، وذكر أيام الإسلام بعده ، إلى يومنا هذا » . ولكن المطبوع هو السيرة النبوية فقط ، عن مخطوطة (مكتبة عارف حكمت) بالمدينة المنورة . فالكتاب ناقص بيقين .

٥ - اختصار علوم الحديث . اختصر فيه مقدمة ابن الصلاح فى المصطلح .

وقد طبع بمكة ، وطبعته بشرحى مرتين ، كما بينت آنفاً ص : ٢٣ .

٦ - جامع المسانيد والسنن . ذكره الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة باسم (الهدى والسنن فى أحاديث المسانيد والسنن) ، وأنه « جمع فيه بين مسند الإمام أحمد والبخارى وأبى يعلى وابن أبى شيبة مع الكتب الستة » . ولست أدري حقيقة هذا الوصف ، فإن المؤلف رحمه الله لم يتمه ، ثم المقدار الذى عمله لم يوجد منه إلا سبعة مجلدات بدار الكتب المصرية . وقد صورت المجلد الأخير منها . وفيه معظم (مسند أبى هريرة) ، رتب فيه الأحاديث من مسند أحمد على أسماء التابعين الرواة عن أبى هريرة - على حروف المعجم . وأول هذا المجلد أثناء حرف الجيم ، وأول الأسماء فيه « جعفر بن عياض المدنى عنه » ، يعنى عن أبى هريرة . وآخره « آخر مسند أبى هريرة » . وهو فى (٢٦٩) ورقة . وقد درسته طويلاً ، بعملى فى « مسند أبى هريرة » من مسند الإمام أحمد . ولم أجد فيه إشارة إلى « البخارى وأبى يعلى وابن أبى شيبة » ولكن تكثر الإشارة فيه إلى الكتب الستة . ولست أدري خطته فيه بالدقة ، فإنه محتاج إلى دراسة وافية ، بعد تصوير سائر المجلدات الموجودة . ومجموع أوراق المجلدات السبعة - على ما فيها من خروم - (٢٢٨٠) ورقة .

٧ - التكميل فى معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل . جمع فيه كتابى شيخه : المزى والذهبى ، (تهذيب الكمال) و (ميزان الاعتدال) مع زيادات فى الجرح والتعديل .

٨ - مسند الشيخين : أبى بكر وعمر .

٩ - رسالة فى الجهاد . وهى مطبوعة .

١٠ - طبقات الشافعية ، ومعه مناقب الشافعى (١) .

١١ - اختصار كتاب (المدخل إلى كتاب السنن) للبيهقى .

١٢ - كتاب (المقدمات) . ولعله فى المصطلح .

١٣ - تخريج أحاديث أدلة التنبيه - فى فروع الشافعية .

١٤ - تخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب - فى الأصول .

(١) وهى مطبوعة بتحقيقنا - أنور الباز - نشر دار الوفاء بالمنصورة .

- ١٥ - شرح صحيح البخارى - شرع فيه ولم يكمله ، وأشار إليه مراراً فى كتبه .
 ١٦ - كتاب (الأحكام) وهو كتاب كبير لم يكمله - وصل فيه إلى « الحج » .

مصادر الترجمة:

- البداية والنهاية وهو التاريخ الكبير لابن كثير - الجزء ١٤ ، طبعة مصر ١٣٥٨هـ .
 تذكرة الحفاظ للذهبي ، طبعة حيدر آباد ١٣٣٤هـ .
 المدارس فى تاريخ المدارس للنعمي ، الجزء الأول ، طبعة دمشق ١٣٦٧هـ .
 الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر ، الجزء الأول ، طبعة حيدر آباد ١٣٤٨هـ .
 ذيول تذكرة الحفاظ للحسيني ، طبعة مصر ١٣٤٧هـ .
 ذيول تذكرة الحفاظ للسيوطي ، طبعة مصر ١٣٤٧هـ .
 النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ، الجزء ١١ ، طبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٩هـ .
 شذرات الذهب لابن العماد ، الجزء ٦ ، طبعة مصر ١٣٥١هـ .
 الرد الوافر لابن ناصر الدين ، الجزء ٦ ، طبعة مصر ١٣٢٩هـ .
 ترجمته بقلم الأخ العلامة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة فى أول (اختصار علوم الحديث)
 بشرحنا ، طبعة مصر ١٣٧٠هـ .

obeikandi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم الاوحد الباع الحافظ الشافعي في تفسيره ما ذكره ابن القدر الساجد من ان المفسر
 ابن جعفر من كبار الشافعيين رحمه الله تعالى ورضي عنه في المحدثين الذي افتتح كتابه الحمد
 فقال الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين وقال تعالى الحمد لله الذي انزل
 على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قلنا من ادبره وبشر المؤمنين للذين يعملون الصالحات
 ان لهم اجرًا حسنًا ما كنتم فيه ابداً وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ما لهم به من علم
 ولا لا اله الا هو كبر كل كلمة يخرج من افواههم ان يقولون الا كذباً وراى خلقه الحمد
 فقال تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الخلق في النور والظلمة الذين كذبوا
 بهم بعد ان آمنوا به فماتوا عليه فقال الله في كتابه اهل الجنة واهل النار وري
 الملك ما في حق من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب
 العالمين والحمد لله الذي وهب لنا الايمان والهدى الى صراط مستقيم والاول والاخرة وكلمة
 الحكيم واليه ترجعون كما قال الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا في الارض وله الحمد
 في الاخرة وهو الحكيم الخبير فله الحمد في الاولى والاخرة اى في جميع المخلوقات وما فوقها
 خالق هو المجد في ذلك كله كما يقول المصطفى اللهم ربنا اذكرنا الحمد لله ملائكة السموات وملا
 الارض وملائكة من شئ بعد ذلك هذا اليتم اهل الجنة تسبحه وتحمده كلما
 يلهم النفس اى يسبحونه ويحمدونه عدد انفسهم لما يدرون من عظيم نعمه عليهم
 وكان له بركة وعظيم سلطانه وتوا الى منتهى واحسانه كما قال تعالى ان الذين ينوا
 وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار ويطحنات الفعيم
 وهو اهدى فيها سبحانك اللهم وتحبهم فيها سلام واخر دعوانهم ان الحمد لله رب
 العالمين ونحمد الله الذي ارسل رسله مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على
 الله حجة بعد الرسل وختمهم بالنبي الامي العربي المكي الهادي لا اوضح السبل ارسله
 الى جميع خلقه من الانس والجن من ادن بعثته الى قيام الساعة كما قال تعالى
 يا ايها الناس اتى رسول الله اليكم جميعا الذي له ملكا السموات والارض والارباب

بسم الله الرحمن الرحيم

هل صليت قلت لا قال قم فصل قال فقلت فصليت ثم جلست فقال يا اباذر
 نفوذ يا الله من ثرياً طين الانس والجن قلت برسول الله ولا من ثرياً طين قال
 نعم قال قلت برسول الله الصلاة قال خير موضوع من ثأ اقل ومن ثأ
 اكثر قلت برسول الله الصوم قال فرض تجزي وعبد الله يريد قلت برسول
 الله فالصدقة قال لا ضعف مضاعفة قلت برسول الله فابها افضل فقال جهد
 من نقل او سهر الى فقير قلت برسول الله اي الانبياء كان اول قال ادم قلت
 برسول الله ومتى كان قال نعم نبي تكلمت برسول الله كمد الله سلون قال
 ثلثه بوضع عثرهما فقيرا وقال مع ثمة عثر قلت برسول الله اي ما
 انزل عليك اعظم قال ايه الكوسى الله لا اله الا هو انجي القوم ورواه
 الشافى من حديث ابي عمر الدمشقي وقصد اخرج هذا الحديث مخطو لا جدا
 ابو حاتم من جبان في صحيحه بغيره في اخره والله اخر موصول جدا والله اعلم وقال
 الامام احمد بن حنبل وكيع عن سفيان عن منصور عن زر بن عبد الله اهدى في عن
 عبد الله بن شداد عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
 برسول الله اى حديث نفسي استنى في اخر من الساجد الى من ان اظلم به
 قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله اكبر الله اكبر الحمد لله الذي رد كبدى الى
 الوسوسة ورواه ابو داود والشافى من حديث منصور زاد الشافى
 والاعمش كلاهما عن زر بن

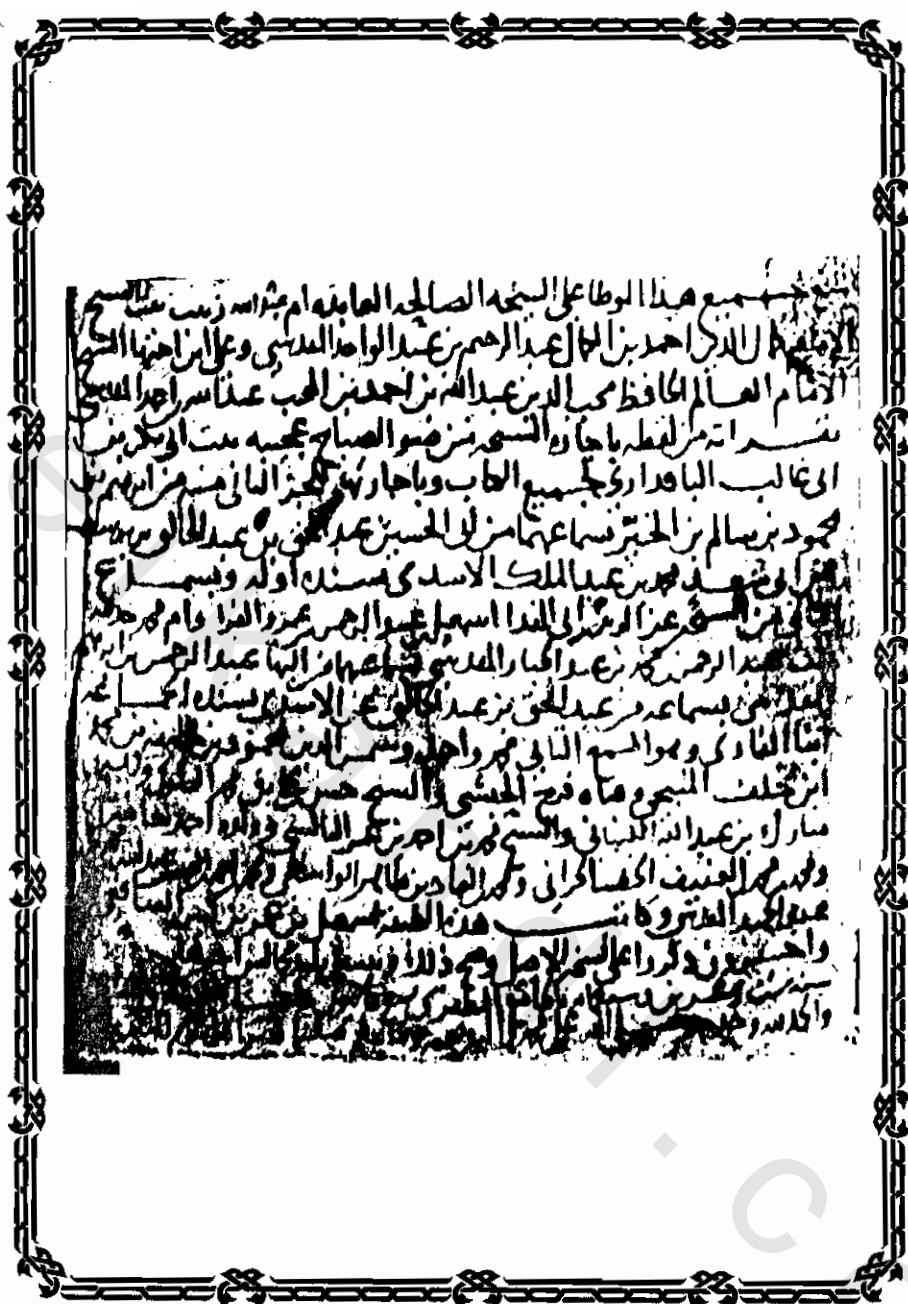
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد

والصلاة عليه اجمعين

عن اصحابه اجمعين

حياتكم بالبركة

وكان الفراغ منه في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٨٠ هـ وعشر وثمان مائة وثلستين



٣- صورة ثبت سماع بخط الحافظ ابن كثير على كتاب ((موطأ سويد بن سعيد))
وهي مخطوطة عتيقة جدا . من القرن الخامس . وهذا السماع تاريخه سنة ٧٢٦ .
وقد أشرنا بسهمهم إلى اسم الحافظ بخطه : (وكتب هذه الطبقة إسماعيل بن
عمر بن كثير الشافعي) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة سبحان وهي مكة

قال الإمام الحافظ المتن أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا شعبة عن
أبي إسحاق قلبي سمعت عبد الرحمن بن يزيد سمع ابن مسعود رضي الله عنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم:
إثنين من العتاق الأول ومن من خلادى. وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا حاد بن زيد عن مروان عن
أبي ليث سمعت عائشة تقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى يقول ما يريد أن يفطر، ويفطر حتى
يقول ما يريد أن يصوم وكان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والرحمن.

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - سُبْحَنَ الَّذِي أَمَرْنَا بِعِبَادَتِهِ لَيْلًا مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ
الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لَنُرِيَهُ مِنْ أَيْنَ تُنْزِلُ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)

يُحَدِّثُ أَمَّا نَفْسُهُ، وَيُعْظِمُ شَأْنَهُ، فَقَدَرْتُهُ عَلَى مَا يُقَدَّرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ سِوَاهُ، فَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ، (الَّذِي
أَمَرَ بِعِبَادَتِهِ) يَعْنِي مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لَيْلًا) أَيْ فِي جَنَحِ اللَّيْلِ (مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) وَهُوَ مَسْجِدُ مَكَّةَ (إِلَى
الْمَسْجِدِ الْاَقْصَى) وَهُوَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ الَّذِي يُدْعَى بِأَيْلِيَاةٍ مَعْدَنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ لَدُنْ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلِهَذَا جُمِعُوا لَهُ
هُنَا كُلُّهُمْ فَأَمْعُمُ فِي مَحْتَمٍ وَدَاوَمٍ فَقَدْ عَلِيَ أَنَّهُ هُوَ الْإِمَامُ الْأَعْظَمُ، وَالرَّائِسُ الْأَقْدَمُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ
وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى (الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) أَيْ فِي الزُّرُوعِ وَالْخَمَارِ (لَنُرِيَهُ) أَيْ عَمَدًا (مِنْ آيَاتِنَا) أَيْ الْعِظَامِ
كَأَنَّ تَعَالَى (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) وَتَسْذَكُرُ مِنْ ذَلِكَ مَا وَوَدَّتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنَ الْأَحَادِيثِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) أَيْ السَّمِيعُ لِأَقْوَالِ عِبَادِهِ مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ، مُصَدِّقُهُمْ وَمُكَذِّبُهُمْ،
الْبَصِيرُ بِهَمِّ قِيَعِي كُلِّ مَنَّهُمْ مَا يَسْتَعِدُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(ذَكَرَ الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةَ فِي الْإِسْرَاءِ: رَوَاةُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)

قال الإمام أبو عبد الله البخاري حدثني عبد العزيز بن عبد الله حدثنا سليمان - وهو ابن بلال - عن شريك بن عبد الله
قال حدثني أنس بن مالك يقول ليلة أسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل
أن يورس إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو؟ فقال أولهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم،
فكانت تلك الليلة فلم يرم حتى أوزع ليلة أخرى فيها يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه - وكذلك الأنبياء تمام أعينهم
ولا تمام قلوبهم - فلم يكادوه حتى احتلموه فوضوه على بقر من من قولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره إلى
لبته حتى فرغ من صدوره وجوفه فشق من ماء زمزم بيده حتى أتى جوفه ثم أتى بطنه من ذهب فيه تور من
ذهب عشرين إيمانًا حكمة فحشا به صدره ولما دبده - يعني عروق حلقه - ثم أطلقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا
فحضر بابًا من أبواب فناداه أهل السماء من هذا؟ فقال جبريل - قالوا ومن معك؟ قال معي محمد قالوا وقد بعث
إليه؟ قال نعم قالوا فارجع به وأهلا، يستبشر به أهل السماء لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به في الأرض حتى
يعلمهم، فوجد في السماء الدنيا آدم فقال له جبريل هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلم عليه ورز عليه آدم فقال من نجا

ابن اسلم يعني اجمعه في بيت الملك بنهم وبترف وغداؤه عندم غذا الملك فذلك الصفة . وقوله (اذ تمسأ اخذك فتقول
 حل اذكك على من يملكه فرجناك الى امك كي تنز عينها وذلك لما استقر عند آل فرعون عرضا عليه المراضع
 فاباها قال الله تعالى (وحزنا عليه المراضع من قبل) فاجلت آنته وقالت (هل اذكك على أهل بيت يكدونه لك دم
 له ناصر) يعني هل اذكك على من يرثه لكم بالاجرة فذهبت به ومعهما إلى أمه فمرضت عليه فبها فبها ففجر حرا
 بذلك فرحا شديدا واستأجر وها على ارضاعه فخالها بسببه سعادة ورفعة وراحة في الدنيا وفي الآخرة اعظم واجزل ،
 ولهذا جاء في الحديث . مثل الصالح الذي يحسب في صنته الخير كمثل أم موسى تزفع ولدها وتأخذ أجرها . وقال
 نعال مهنا (فرجناك الى امك كي تنز عينها ولا تحزن) أي عليك (وقلت نفسا) يعني النبط (فنجيناك من النهر)
 وهو ما حصل له بسبب عزم آل فرعون على قتله ففر منهم هاربا حتى وود ماء . مدين وقال له ذلك الرجل الصالح
 (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) . وقوله (وفتناك فتونا) قال الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الساقبوجه
 الله في كتاب التفسير من سنة قوله (وفتناك فتونا) (حديث الفتون) حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا يزيد بن هارون
 ناها أصح بن زيد حدثنا القاسم بن أبي أيوب أخيرى سعيد بن جبير قال سألت عبد الله بن عباس عن قول الله عز
 وجل لموسى عليه السلام (وفتناك فتونا) فأنشأه عن الفتون ما هو فقال استأنف الثار يا ابن جبر فان لها حديثا طويلا
 فلما أصبحت غدوت إلى ابن عباس لا تتجر منه ما وعدني من حديث الفتون فقال : تذكر فرعون وجدها ما كان
 الله وحده إبراهيم عليه السلام أن يجمع في ذرية أنبياء . وطوكا فقال بعضهم إن بني إسرائيل ينظرون ذلك لا يشكون فيه
 وكانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب فلما حلت قالوا ليس هكذا كان بعد إبراهيم عليه السلام فقال فرعون كيف
 ترون فاتهموا وأجمعوا أمرهم على أن يسمت رجلا معهم الشغار بطوروني بني إسرائيل فلا يجهون مولودا ذكرا
 إلا يذبحوه ففعلوا ذلك فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بالهالم والصغار يذبحون قالوا ليشكون أنفقوا
 بني إسرائيل فتمسروا إلى أن تبشروا ابن الأعمال والخدمة التي يكدونكم فافعلوا عاما كل مولود ذكرا وأتركوا
 بناتهم ودعوا عاما فلا تقتلوا منهم أحدا فحسب الصغار مكان من يموت من الكبار فأنهم لن يكتفوا من استحيون
 منهم ففخافوا فكأثرهم (يا كم ولم يفتوا بمن يتلون وتحتاجون إليهم فأجمعوا أمرهم على ذلك فحلت أم موسى هارون
 في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان فولدت له عيسى عليه السلام فوقع في فاهها الملم
 والحزن وذلك من الفتون يا ابن جبر ما دخل عليه وهو يظن أنه ما يراد به . فأوحى الله إليها أن لا تخافي ولا تحزني
 إنا راقوه إليك وجاءكوه من المرسلين فأمرها إذا ولدت أن تجعله في تابوت ثم تلقيه في النهر فلا ولدت فمات ذلك
 فلما توارى عنها أنها الكلبان فقالت في نفسها ما فعلت يا بني لو ذبح جندي فرأيت وكففت كان أحب إلى
 من أن ألقيه إلى ذباب البحر وحيثما فأنتهى الماء به حتى أوفى به عند مرفأه مستق جوارى امرأة فرعون
 فلما رأته أخذته فأردن أن يقتلها فالتفت إليها فقالت له هذا مالا وإنا إن قتلناه لم نعدنا امرأة الملك بما
 وجدناه فيه فحلت له كونه لم يجر من منه شيئا حتى فطنت إليها فلما فطنته وأت فيه فلما فأتى الله عليه لها عمة لم تلق
 منها على أحد قط وأصبح فراد أم موسى فلوغا من ذكر كل شيء إلا من ذكر موسى فلما سمع الذبايحون بأمره أقبلوا
 بشغارهم إلى امرأة فرعون ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبر . فقالت لهم أقفوه فإن هذا الواحد لا يزيد بني
 إسرائيل حتى آتي فرعون فأستوجه به فإن وجهه لي كنتم قد أحسنتم وأجلتم وإن أمر بذهبه لي المك فأتت فرعون
 فقالت قرعة عين لي ولك فقال فرعون يكون لك فأما لي فلا حاجة لي فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي
 يحلف به لو أقر فرعون أن يكون قرعة عين له كما أقرت امرأة لهدها الله كهداها ولكن حرمه ذلك . فألصقت إلى
 من حولها إلى كل امرأة لها لأن يختار له ظفرا ليجعل كذا أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل على يديها حتى أشفقها امرأة
 فرعون أن يتبع من اللبن فبوت فأحزنها ذلك فأمرت به فأخرج إلى السوق وجمع الناس رجوا أن يجد له ظفرا
 تأخذه منها فلم يقبل وأصبحت أم موسى والها فقالت لا تخف قصي أثره واطلبه من نسمه من له ذكرا أحسن إلى أم

أشرف
 في تفسير
 الآية
 ٥٠
 رتبة
 في تفسير
 الآية
 ٥٠

صلى الله عليه وسلم يوما من الدهر بل كفى أقبح شقي . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو داود حدثنا الأعمش عن يزيد بن سحبن عن زيد بن أرقم قال سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياما قال لجده جبريل فقال إن رجلا من اليهود سحرك وعندك عقد في بشر كذا . فأرسل إليها من يحمي بها فبقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستخرجوا لها ماء بها خلطها قال فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما ينشط من عقاب فذكر ذلك لليهودي ولأولاه في وجهه حتى مات ، ورواه النسائي عن قتادة عن . ماوية بن محمد بن عازم القزويني . وقال البخاري في كتاب الطب من صحيحه حدثنا : الله بن محمد قال سمعت سفيان بن عيينة يقول أول من حدثنا به ابن جريج يقول حدثني آل عروة عن ع . سألت هشاما عنه حدثنا عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن قال - فبيان وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا فقال . يا عائشة أعاتت أن الله قد أفناني فلما استغفرت فيه ؟ أتاني رجلان فقدم أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال الذي عند رأسي للآخر ما بال الرجل ؟ قال مطبوع ، قال ومن طبعه ؟ قال لبيد بن أعسم رجل من بني زريق حليف اليهود كان منافقا ، قال وفيه ؟ قال في مشط ومشاطة ، قال وأين ؟ قال في جف طاعة ذكر تحت رعوة في بشر ذروان ، قالت فأتى البشر حتى استخرج منه فقال . هذه البشر التي أرى بها وكان ماء فافقا لحنا وكان غمارا يوس الشياطين ، قال فاستخرج فقلت أفلا نذيرت ؟ فقال . أما الله فقد شفاني وأكره أن أنير على أحد من الناس شيئا ، وما تشدهم من سحره عيني من يونس وأبي خزيمة أنس بن عياض وأبي أسامة ويحيى القطان وفيه قالت حتى ينزل إليه أنه فعل الشيء . ولم يقله ، وعنده فأمر بالبشر فدفنت وذكر أنه رآه عن هشام أيضا ابن أبي الزناد والليث بن سعد ، وقد روى عنه مسلم . حدثني أبي أسامة حماد بن أسامة وعبد الله بن عمر ورواه أحمد عن عفان عن وهب عن هشام بن عروة ورواه الإمام أحمد أيضا عن إبراهيم بن خالد عن معمر عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : لبث النبي صلى الله عليه وسلم ستة أشهر يرى أنه يأتي ولا يأتي فأنام ما كان يجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال أحدهما للآخر ما باله ؟ قال مطبوع ، قال ومن طبعه ؟ قال لبيد بن الأعسم وذكر تمام الحديث وقال الأستاذ المفسر التتائي في تفسيره قال بن عباس وعائشة رضي الله عنهما كان غلام من اليهود يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحجروه فيها وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له ابن الأعسم ثم دهاق بن أبي زريق يقال له ذروان فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأثر شمر رأسه ولبت ستة أشهر يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن وجعل يذوب ولا يدري ما عراه فبينما هو قائم إذا غامه ما كان يجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي عند رأسه الذي عند رجليه ما بال الرجل ؟ قال طب ، قالوا ما طب قاله سحر ، قال ومن سحره ؟ قال لبيد بن الأعسم اليهودي قال ومن طبعه ؟ قال مشط ومشاطة قال وأين هو ؟ قال في جف طاعة ذكر تحت رعوة في بشر ذروان والحيف فشر الطلع والرعوة حجر في أسفل البشر تاتي . يقوم عليه الماسح ، فاذ به رسول الله صلى الله عليه وسلم مذعورا وقال : يا عائشة أما شعرت أن الله أعز في دنائي ، ثم لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها والوزير وعمار بن ياسر فبوسوا ماء البشر كاه ففاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الحيف فإذا فيه مشاطة رأسه وأشتان من مشط وإذا فيه وتر معقود فيه اثنا عشرة عقدة مفروزة بالإبر ، فأنزل الله تعالى السورتين لجعل كلا قرأ أيتها عاتك عقدة ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة حين انحلت العقدة الأخيرة فقام كأنما ينشط من عقاب وجعل جبريل عليه السلام يقول بسم الله أرقبك من كل شيء يؤذي . من حاسد وعين ، الله يشفيك . فقال يارسول الله أفلا تأخذ الحديث فتقله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما الله فقد شفاني الله وأكره أن أنير على الناس شيئا . هكذا رواه بلا إشتغال فيه عبارة وفي بعض النسخة شديدة والله شاهد بما تقدم والله أعلم .

تفسير سورة الناس : وهي مكية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ النَّاسِ . مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَاسِ . الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ . مِنَ الْخَبْيَةِ وَالْأَسَى)

هذه ثلاث صفات من صفات الرب عز وجل الربوبية والملكية والإلهية فهو رب كل شيء ومليكه وإله جميع الأشياء .

الحمد لله رب العالمين
أتممت اختصار هذا التفسير الجليل في المسودة
ليكون (عمدة التفسير) بين العساكرين
من يوم الأحد ١٢ محرم ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦/١/١٩

أحمد شاكر

obeikandi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام الأوحى، البارع الحافظ المتقن، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن الخطيب أبى حفص عمر بن كثير الشافعى، رحمه الله تعالى، ورضى عنه:

الحمد لله الذى افتتح كتابه بالحمد فقال: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. مَا لَكَ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الفاة: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا. قَلِيلًا يُنْذِرُ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا. مَا كُنَّ فِيهِ أَبَدًا. وَيُنْذِرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا. مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبِرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: ٥١]، وافتتح خلقه بالحمد، فقال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١]، واختتمه بالحمد، فقال بعدما ذكر مآل أهل الجنة وأهل النار: ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الزمر: ٧٥]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ١٧]، كما قال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [سبا: ١].

فله الحمد فى الأولى والآخرة، أى فى جميع ما خلق وما هو خالق، هو المحمود فى ذلك كله، كما يقول المصلى: «اللهم ربنا لك الحمد، ملء السموات وملء الأرض، وملء ما شئت من شىء بعد»؛ ولهذا يُلِّمُ أهل الجنة تسيحه وتحميده كما يُلِّمُونَ النَّفْسَ، أى يسبحونه ويحمدونه عدد أنفاسهم؛ لما يرون من عظيم نعمه عليهم؛ وكمال قدرته وعظم سلطانه، وتوالى مننه ودوام إحسانه، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ. دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [يونس: ٩، ١٠].

والحمد لله الذى أرسل رسله ﴿ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥]، وختمهم بالنبي الأمى العربى المكى الهادى لأوضح السبل، أرسله إلى جميع خلقه من الإنس والجن، من لدن بعثته إلى قيام الساعة، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ قَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِىِّ الْأُمِّى الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿ لَأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩].

فمن بلغه هذا القرآن من عرب وعجم، وأسود وأحمر، وإنس وجان، فهو نذير له؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَلَئِنَّ أَهْلَ مَوْعِدِهِ ﴾ [هود: ١٧]. فمن كفر بالقرآن ممن ذكرنا فالنار موعده، بنص الله تعالى، وكما قال تعالى: ﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبْ بِهِذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القلم: ٤٤]. وقال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ»^(١). قال مجاهد: يعنى: الإنس والجن. فهو، صلوات الله وسلامه عليه، رسول الله إلى جميع الثقلين: الإنس والجن، مُبَلِّغًا لَهُمْ عَنْ اللَّهِ مَا أَوْحَاهُ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ الْعَزِيزِ الَّذِى ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢].

(١) معناه ثابت ضمن حديث رواه مسلم (١٤٧/١) عن جابر، وآخر رواه أحمد فى المسند (٢٢٥٦، ٢٧٤٢) عن ابن عباس.

وقد أعلمهم فيه عن الله تعالى أنه ندبهم فيه إلى تفهمه، فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ١٢٤].

فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله، وتفسير ذلك، وطلبه من مظانه، وتعلم ذلك وتعليمه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُخْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧]. فذم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله إليهم، وإقبالهم على الدنيا وجمعها، واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتباع كتاب الله.

فعلينا - أيها المسلمون - أن تنتهي عما ذمهم الله تعالى به، وأن نأمر بما أمرنا به، من تعلم كتاب الله المنزل إلينا وتعليمه، وتفهمه وتفهيمه، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ. اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٦، ١٧]. ففي ذكره تعالى لهذه الآية بعد التي قبلها تنبيه على أنه تعالى كما يحيى الأرض بعد موتها، كذلك يلين القلوب بالإيمان بعد قسوتها من الذنوب والمعاصي، والله المؤمل المسؤول أن يفعل بنا ذلك، إنه جواد كريم. فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟

فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يُفسَّر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فُسر في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام الشافعي: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]. ولهذا قال رسول الله ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» يعنى: السنة. والسنة أيضاً تنزل عليه بالوحي، كما ينزل القرآن؛ إلا أنها لا تنلى كما يتلى القرآن، وقد استدلل الإمام الشافعي، وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة.

والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجدَه فمن السنة، كما قال رسول الله ﷺ: لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «بم تحكم؟». قال: بكتاب الله. قال: «فإن لم تجد؟». قال: بسنة رسول الله. قال: «فإن لم تجد؟». قال: أجتهد برأى. قال: فضرب رسول الله ﷺ في صدره، وقال: «الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضى رسول الله». وهذا الحديث في المساند والسنن بإسناد جيد. وحينئذ، إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدري بذلك، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة والخلفاء الراشدين، وكعبد الله بن مسعود.

فقد قال ابن مسعود: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن،

والعمل بهن. وقال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئونا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعا.

ومنهم الخبر البحر عبد الله بن عباس، ابن عم رسول الله ﷺ ، وترجمان القرآن ببركة دعاء رسول الله ﷺ له حيث قال: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل». وروى الطبري عن ابن مسعود قال: نعم ترجمان القرآن ابن عباس. وإسناده صحيح. وقد مات ابن مسعود، في سنة اثنتين وثلاثين على الصحيح، وعمر بعده ابن عباس ستاً وثلاثين سنة، فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود! وقال أبو وائل: استخلف عليّ عبد الله بن عباس على الموسم، فخطب الناس، فقرأ في خطبته سورة البقرة، وفي رواية: سورة النور، ففسرها تفسيراً لو سمعته الروم والترك والدليم لأسلموا.

ولهذا غالب ما يرويه إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير في تفسيره، عن هذين الرجلين: ابن مسعود وابن عباس، ولكن في بعض الأحيان ينقل عنهم ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب، التي أباحها رسول الله ﷺ حيث قال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو.

ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد، لا للاعتضاد، فإنها على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته بما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا تؤمن به ولا تكذبه، وتجاوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني؛ ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في هذا كثيراً، ويأتى عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كليهم، وعدتهم، وعصا موسى من أى شجر كانت؟ وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذى ضرب به القتل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى، إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم. ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز، كما قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢]، فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام وتعليم ما ينبغي في مثل هذا، فإنه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال، ضعف القولين الأولين وسكت عن الثالث، فدل على صحته إذ لو كان باطلاً لرده كما ردهما، ثم أرشد على أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته، فقال في مثل هذا: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ﴾، فإنه ما يعلم ذلك إلا قليل من الناس، ممن أطلعه الله عليه؛ فهذا قال: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ أى: لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته، ولا تسألهم عن ذلك فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب.

فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف: أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام، وأن تنبه على الصحيح منها وتبطل الباطل، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته؛ لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة

تحتة، فتشتغل به عن الأهم .

فأما من حكى خلافاً في مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص، إذ قد يكون الصواب في الذي تركه. أو يحكى الخلاف ويطلقه ولا ينبه على الصحيح من الأقوال، فهو ناقص أيضاً. فإن صحح غير الصحيح عامداً فقد تعمد الكذب، أو جاهلاً فقد أخطأ، وكذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحتة، أو حكى أقوالاً متعددة لفظاً ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معنى، فقد ضيع الزمان، وتكثر بما ليس بصحيح، فهو كلابس ثوبى زور، والله الموفق للصواب.

فصل :

إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين، كمجاهد بن جبر، فإنه كان آية في التفسير، فقد روى الطبري عن ابن أبي مليكة قال: رأيت مجاهداً سأل ابن عباس عن تفسير القرآن، ومعه الواحه، قال: فيقول له ابن عباس: اكتب، حتى سأله عن التفسير كله. ولهذا كان سفيان الثوري يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به . وكسعيد بن جبيرة، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن المسيب، وأبي العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك بن مزاحم، وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم، فتذكر أقوالهم في الآية فيقع في عباراتهم تباين في اللفاظ، يحسبها من لا علم عنده اختلافاً فيحكيها أقوالاً، وليس كذلك، فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو بنظيره، ومنهم من ينص على الشيء بعينه، والكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن، فليتفطن اللبيب لذلك، والله الهادي.

وقال شعبة بن الحجاج وغيره: أقوال التابعين في الفروع ليست حجة، فكيف تكون حجة في التفسير؟ معنى: أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح، أما إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على قول بعض، ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك.

فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام، لما رواه محمد بن جرير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «من قال في القرآن برأيه، أو بما لا يعلم، فليتبوأ مقعده من النار» . ورواه الترمذي والنسائي، وأبو داود، وقال الترمذي: حديث حسن. وروى ابن جرير، عن جندب؛ أن رسول الله ﷺ قال: «من قال في القرآن برأيه فقد أخطأ» .

ورواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وقال الترمذي: غريب، وقد تكلم بعض أهل العلم في سهيل. وفي لفظ لهم: «من قال في كتاب الله برأيه، فأصاب، فقد أخطأ» أي: لأنه قد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر به، فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ؛ لأنه لم يأت الأمر من باب، كمن حكم بين الناس على جهل فهو في النار، وإن وافق حكمه الصواب في نفس الأمر، لكن يكون أخف جرماً ممن أخطأ، والله أعلم^(١)، وهكذا سمي الله القذفة كاذبين، فقال: ﴿فإذ

(١) أما في عصرنا، فقد نابت نواب، ونبت نواب، ممن استعبدوا لآراء المبشرين وأهوائهم. ومن جهلوا لغة العرب إلا كلام العامة وأشباههم، وجعلوا القرآن فلم يقرؤوه، ولا يكادون يسمعونه إلا قليلاً، وجعلوا السنة، بل كانوا من أعدائها. =

لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ [النور: ١٣] ، فالقاذف كاذب، ولو كان قد قذف من زنى فى نفس الامر؛ لأنه أخبر بما لا يحل له الإخبار به ، ولو كان أخبر بما يعلم؛ لأنه تكلف ما لا علم له به، والله أعلم.

ولهذا تَحَرَّج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به، كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه :
أى أرض تقلنى ، وأى سماء تظلمنى ، إذا قلت فى كتاب الله بما لم أعلم ! وروى أبو عبيد القاسم بن سلام : أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله تعالى : ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١] ، فقال : أى سماء تظلمنى ، وأى أرض تقلنى ، إذا أنا قلت فى كتاب الله ما لا أعلم . إسناده منقطع . وروى أيضاً : أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر : ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١] ، فقال : هذه الفاكهة قد عرفناها ، فما الأب ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال : إن هذا لهو التكلف يا عمر . وروى عبد بن حميد عن أنس ، قال : كنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وفى ظهر قميصه أربع رقاع ، فقرأ : ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ فقال : ما الأب ؟ ثم قال : إن هذا لهو التكلف ، فما عليك ألا تدريه .

وهذا كله محمول على أنهما رضي الله عنهما إنما أرادا استكشاف علم كيفية الأب ، وإلا فكونه نبأ من الأرض ظاهر لا يجهل ، لقوله : ﴿فَأَنبِئْنَا فِيهَا حَبًّا وَعَبًّا﴾ الآية [عبس: ٢٧ ، ٢٨] .

وروى الطبرى عن ابن أبى مليكة : أن ابن عباس سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها ، فأبى أن يقول فيها . وإسناده صحيح .

وروى أبو عبيد عن ابن أبى مليكة ، قال : سأل رجل ابن عباس عن ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥] فقال له ابن عباس : فما ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] ؟ فقال له الرجل : إنما سألتك لتحذثنى . فقال ابن عباس : هما يومان ذكرهما الله فى كتابه ، الله أعلم بهما . فكره أن يقول فى كتاب الله ما لا يعلم . وروى الطبرى عن الوليد بن مسلم ، قال : جاء طَلْقُ بن حبيب إلى جُنْدُب بن عبد الله ، فسأله عن آية من القرآن ؟ فقال : أحرَّج عليك إن كنت مسلماً لما قمت عني ، أو قال : أن تجالسنى . وروى مالك ، عن سعيد بن المسيب : أنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن ، قال : إنا لا نقول فى القرآن شيئاً . وروى الليث عنه أنه كان لا يتكلم إلا فى المعلوم من القرآن .

وقال ابن شوذب : حدثنى يزيد بن أبى يزيد ، قال : كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحرام والحلال ، وكان أعلم الناس ، فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت ، كأن لم يسمع . وروى ابن جرير عن عبيد الله بن عمر ، قال : لقد أدركتُ فقهاء المدينة ، وإنهم ليعظمون القول فى التفسير ، منهم : سالم بن عبد الله ، والقاسم بن محمد ، وسعيد بن المسيب ، ونافع . وروى أبو عبيد عن هشام ابن عروبة ، قال : ما سمعت أبى تأول آية من كتاب الله قط . وروى أيضاً عن مسلم بن يسار ، قال :

= ومن سخروا من علم علماء الإسلام ، وسفقت أحلامهم ، ومردت ألسنتهم على قولة السوء فى سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم . بل لا يؤمنون بالغيب إلا قليلاً . هؤلاء وأشباههم وأمثالهم ، اجترؤوا على العبث بالقرآن ، واللعب بالسنة ، فعرضوا لتفسير القرآن ، وزعموا لأنفسهم الاجتهاد الجاهل ، يفتون الناس ويعلمونهم اللعب والعبث ، وينزعون من قلوبهم الإيمان . لا أقول : إن هؤلاء وأولئك يفسرون القرآن بأهوائهم ، فإنهم أضعف من أن تكون لهم أهواء وأشد جهلاء ، بل بأهواء سادتهم ومعلميهم من المبشرين والمستعمرين أعداء الإسلام ، وقد نضرب المثل لذلك عند المناسبات ، فيما سيأتى ، إن شاء الله .

إذا حدثت عن الله حديثاً فقف، حتى تنظر ما قبله وما بعده . وروى أيضاً عن مسروق، قال: اتقوا التفسير، فإنما هو الرواية عن الله .

فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تخرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به؛ فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً، فلا حرج عليه؛ ولهذا روى عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة؛ لأنهم تكلموا فيما علموه، وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد؛ فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه، لقوله تعالى: ﴿لَيَبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ لَوْلَا يَكْتُمُونَهُ﴾^(١) [آل عمران: ١٨٧]، ولما جاء في الحديث المروى من طرق: «من سئل عن علم فكتمه، ألجم يوم القيامة بلجام من نار». روى ابن جرير عن ابن عباس: التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله .

(١) هي قراءة سبعة متواترة كما في البحر المحيط ٣ / ١٣٦ . (الباز) .

مقدمة

قال قتادة : نزل في المدينة من القرآن : البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة ، وبراءة، والرعد، والنحل، والحج، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات ، والرحمن، والحديد ، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، و﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ۖ﴾ ، إلى رأس العشر، وإذا زلزلت، وإذا جاء نصر الله. هؤلاء السور نزلت بالمدينة، وسائر السور بمكة.

فأما عدد آيات القرآن فسته آلاف آية، ثم اختلف فيما زاد على ذلك على أقوال، فمنهم من لم يزد على ذلك، ومنهم من قال : ومائتا آية وأربع آيات، وقيل : وأربع عشرة آية، وقيل : ومائتان وتسع عشرة آية ، وقيل : ومائتان وخمس وعشرون آية، أو ست وعشرون آية، وقيل : ومائتان وست وثلاثون . حكى ذلك أبو عمرو الداني في كتابه البيان.

وأما التحزيب والتجزئة، فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين كما في الربعات بالمدارس وغيرها، وأما تحزيب الصحابة للقرآن ففي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود وابن ماجه وغيرهم عن أوس بن حذيفة أنه سأل أصحاب رسول الله ﷺ في حياته : كيف تحزبون القرآن؟ قالوا : ثلاث ، وخمس ، وسبع ، وتسع ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة، وحزب المفصل حتى نختم ^(١) .

فصل :

واختلف في معنى السورة : مما هي مشتقة؟ فقيل : من الإبانة والارتفاع . فكان القارئ ينتقل بها من منزلة إلى منزلة . وقيل : لشرفها وارتفاعها كسور البلدان . وقيل : سميت «سورة» لكونها قطعة من القرآن وجزءاً منه، مأخوذ من سؤر الإناء وهو البقية، وعلى هذا فيكون أصلها مهموزاً، وإنما خففت الهمزة فأبدلت الهمزة واواً لانضمام ما قبلها . وقيل : لتمامها وكمالها ؛ لأن العرب يسمون الناقصة التامة : سورة . قلت : ويحتمل أن يكون من الجمع والإحاطة لآياتها ، كما يسمى سور البلد ؛ لإحاطته بمنزله ودوره . وجمع السورة سور بفتح الواو، وقد تجمع على سورآت وسورات .

وأما الآية ، [فأصل معناها : العلامة . سميت بذلك لأنها العلامة] ^(٢) على انقطاع الكلام الذي قبلها عن الذي بعدها وانفصالها، أي : هي بائنة عن أختها ومنفردة . قال الله تعالى : ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾ [البقرة : ٢٤٨] . وقيل : لأنها جماعة حروف من القرآن وطائفة منه، كما يقال : خرج القوم بآياتهم، أي : بجماعاتهم . وقيل : سُميت آية لأنها عَجَبٌ يَعْجِزُ البشر عن التكلم بمثلها . قال سيويه : وأصلها آيَّة مثل أكمة وشجرة، وتحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً فصارت آية، بهمزة بعدها مدة . وقال الكسائي : أصلها آيَّة على وزن أئمة، فقلبت ألفاً، ثم حذفت لالتباسها . وجمعها : آيٌ وآيٌ وآياتٌ .

وأما الكلمة فهي اللفظة الواحدة، وقد تكون على حرفين مثل : «ما» و«لا» ونحو ذلك ، وقد تكون

(١) سيذكر المؤلف هذا الحديث مطولاً ، ويشرحه ، في أول «سورة ق» ، وهي أول الفصل ، وانظر ابن حبان بتحقيقنا (١١٠ / ١) .

(٢) في المطبوعة : «وأما الآية فمن العلامة» ! وهو كلام غير مستقيم، فزدنا ما بين القوسين لإقامته . وهذه المقدمة من أولها ليست في الأزهرية ، فلم نجد مناصاً من تصحيحها اجتهداً .

أكثر. وأكثر ما تكون عشرة أحرف: مثل ﴿لَيْسَ خَلْقُهُمْ﴾ [النور: ٥٥]، و ﴿أَنْزَلْنَاهُمْ﴾ [هود: ٢٨]، و ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ [الحجر: ٢٢]، وقد تكون الكلمة الواحدة آية، مثل: والفجر، والضحى، والعصر، وكذلك: الم، وطه، ويس، وحم - فى قول الكوفيين - و ﴿حَمَ . عَسَقَ﴾ عندهم كلمتان. وغيرهم لا يسمي هذه آيات بل يقول: هذه فواتح السور. وقال أبو عمرو الداني: لا أعلم كلمة هى وحدها آية إلا قوله تعالى: ﴿مُدْهَامَاتَانِ﴾ بسورة الرحمن [الآية: ٦٤].

فصل:

قال القرطبي: أجمعوا على أنه ليس فى القرآن شىء من التراكيب الأعجمية، وأجمعوا أن فيه أعلاماً من الأعجمية كإبراهيم، ونوح، ولوط، واختلفوا: هل فيه شىء من غير ذلك بالأعجمية؟ فأنكر ذلك الباقلاني والطبري وقالوا: ما وقع فيه مما يوافق الأعجمية فهو من باب ما توافقت فيه اللغات^(١).

(١) هذا هو الحق الذى تدل عليه الدلائل. وقد شنع الشافعى - رحمه الله - بمن زعم أن فى القرآن ألفاظاً أعجمية، تشنيعاً شديداً بأبلغ عبارة وأعلها وأقواها، فى كتاب (الرسالة) فى الفقرات: (١٣١-١٧٨) بتحقيقنا.